قصـــــــة الوحـــــــدة

نضوج ظروف الوحدة

قلت لأمين النفوري "اجمع لي كل ضباط القطعات، كفانا مسخرة. يبدو أن مصر لا تفهم من الوحدة الا أن يأتي "السادات " ليترأس مجلس النواب السوري ويذهب أكرم الحوراني الى مصر ليترأس مجلس الشعب المصري. أما الالتزام بالوحدة كأداة لقوة البلدين الاقتصادية والعسكرية أمام العدو فلا يفكر أحد بها. كانت الفكرة قد اختمرت في ذهني دون أن أطلع أحدا عليه. سنين وأنا أفكر بالوحدة العربية الجدية، لاكما كان يفكر بها عبد الناصر والبعث اللذان كانا يريدان ركب الموجة الشعبية باسمها. لم تكن نزوة، ولا مغامرة، بل هي جزء من أيديولوجيتي. وهذا هو السبب الذي جعلني أصطدم مع خالد بكداش لأنني صدمت بموقف الحزب الشيوعي من الوحدة. قلت له: تدعو الى وحدة عالمية وترفض وحدة عربية؟ في رأيي كل ما يؤدي الى تعاون وتكامل الأمة العربية هو حسن. وافترقنا على مضض وجفاء.

لم يكن من أحد يجرؤ على هذه الخطوة، ووجدت أن الوقت حان لإنجازها. وأرسلت ثلاث مذكرات: واحدة لرئيس الجمهورية، وواحدة لرئاسة الوزارة، وواحدة لرئيس المجلس النيابي. لم أترك للضباط وقتا للتفكير. قلت لهم: الطائرة جاهزة لنقلنا الى مصر، نريد أن نحقق حلم الشعب السوري والمصري بالوحدة. وتلفنت الى محسن أبو النور، الملحق العسكري المصري في دمشق فجاء على عجل، ولما علم بالأمر كاد يصعق. قلت له: الآن ترسل برقية الى عبد الناصر تخبره أننا في طريقنا اليه لانجاز الوحدة. أخذ بالاحتجاج " الوقت متأخر يا سيادة اللواء" قلت "لا يهم، نحن في طريقنا لنستقل الطائرة، وأنت واجبك أن تعلم الرئيس بخطوتنا".

الوحدة مسؤولية كبيرة وأمانة ثقيلة، حتى عبد الناصر ما كان يريد أن يحمل عبأها اذ أنها تعيق حركته في إرضاء الأميركيين. أذكر أنني بعد الوحدة دعيت الى حفلة في السفارة الأميركية في دمشق، لقد ألح علي عبد الناصر أن أذهب، وكان في أول زيارة له لدمشق بعد إبرام الوحدة فذهبت بعد تردد وكان برفقتي مجموعة من الضباط الذين انتقاهم المشير عامر. وعرفت أن رئيس الأركان المشتركة الأميركي مدعو. ولم يلبث أولئك الضباط الناصريون أن التفوا حول الأميركيين وتركوني وحيدا. وأحسست أن عبد الناصر يمارس انتصاره علي ويظهرني كأنما أنا في جيبه، وأنني معزول وليس من يناصرني..

الوحدة التي أردتها وحدة عربية خالصة، وأرادها عبد الناصر وحدة تحت المظلة الأميركية!..

– ألا ترى أنك قصرت في أن تصنع لنفسك كتلة قوية في الجيش تحميك؟ كان عليك أن تعتمد على"عصبية " كما يقول ابن خلدون من الضباط الذين هم أكثر نضوجا ووطنية ومبدئية.

– ان ما كان يهمني ويشغلني هو مركزي الأدبي في الجيش لمحاربة الهجمة الامبريالية على سوريا.. إثر مؤامرة ستون أردنا تسريح اثني عشر من الضباط كانوا ضالعين في المؤامرة، فأبى توفيق نظام الدين رئيس الأركان ذلك وطلب أن يستقيل. بقيت عنده ساعتين أطلب منه عدم الاستقالة، مع أنني كنت المستفيد الأول من استقالته، اذ أنني كنت المؤهل لأحتل مكانه، ولكنه أصر على ترك الجيش. أنا لم أصنع انقلابا ضده ولم يكن وصولي الى رتبة رئيس الأركان طفرة بل كنت أتدرج في الرتب اليها، فما كان من مصلحتي استقالته لأنه كان علي أن أعتمد على أخلاقيات الجيش من كل الفئات حتى أصهره للدفاع عن البلاد.. أو أن علي أن أقوم بانقلاب لأستولي على السلطة كما فعل عبد الناصر مع محمد نجيب، الرجل الذي كان يلتف حوله الضباط الأحرار لبلائه في فلسطين وقيامه بالثورة وخطه الوطني الذي لايساوم.. فاخترت طريق الاندماج مع كل فئات الجيش لتوحيده..

–أريد أن تحدثني بتفصيل أكبر عن كيفية حدوث الوحدة.

قصـــــــة الوحـــــــدة

كثيرون هم الذين زاروه ليأخذوا منه حديثا أو تسجيلا عن الوحدة بين سورية ومصر وكيف حدثت. ولكن هذا الموضوع لم تكن تظهر آثاره في الصحف ولا ترسل لنا النسخة المسجلة عنه التي نوعد بها.. كان هناك تعتيم على دوره في الوحدة، وكان هناك من يدعيها لنفسه، ومن يزعم بأنه الممهد لها، ومن يقول بأنه أرادها اتحادا فدراليا، ومن ينتقدها بأنها سابقة لأوانها، ومن يريدها ضمنا أن لا تحدث أبدا ويبقى مدجلا بها كأمنية جماهيرية..

قلت له: أكتب لي قصة الوحدة بخط يدك فتقطع بذلك الشك باليقين تجاه أبنائنا وتجاه التاريخ. ففعل وأنا أنقل حرفيا عن النسخة الأصلية:

"لنقل مبدئيا أن الوحدة هي ضد الالحاق أسوأ أشكال الانقسام.وأن الأمة العربية طوال أطوار نشوئها وتقدمها في حضاراتها لم تناد بوحدة انسانها ووحدة مختلف فروعها فحسب وإنما ارتفعت في مجال التوحيد الى وحدة الانسان ووحدة مصيره. فقامت فيها ثورات التوحيد طوال نشوئها وتقدمها لتوحد الأمم في الإله الواحد العادل.

فاذا جئنا الى وحدة عام 1958 التي قامت بين قطري أمتنا العربية سورية ومصر نجد أن جماهيرنا كانت أحق الجهات بشرف إنجاز تلك الوحدة ولا عبرة لبعض الأقليات المخالفة. فهذه الجماهير نشأت تاريخيا على التوحيد. لقد كانت الأيام التي تمت فيها الوحدة السورية المصرية أعيادا لا نظير لها في الحياة المعاصرة لأمتنا. فالشعبان السوري والمصري مثلا استقبلا تلك الأيام بأفراح بلغت فيها نفوس الناس ذروة السعادة والارتياح و الأمر الذي يشكل ردا حاسما على كل أولئك الأنانيين الفرديين مدعي التعقل الكاذب بطرح أفكار ظاهرها البريق الخلب وباطنها الإحباط وخيبات الأمل. فارادة الأمة هي التي يجب أن تؤخذ بالحسبان وليست حسابات الحاسبين المتآمرين الذين يبحثون عن تأجيل وقوع الصحيح في مصلحة الأمة وضد مصالح أعدائها المستعمرين والصهاينة.

ان كثيرا من الجهات التي ادعت بأنها كانت وراء تلك الوحدة التي تم إنجازها بين سورية ومصر تفتقر الى وقائع مادية تثبت دعواها. الا أنه من الثابت مثلا أن قيادة الجيش السوري دعت ممثلي مختلف وحدات الجيش الى اجتماع في مكتب القائد العام اللواء عفيف البزري ليلة سفر وفد من الضباط الى مصر لمطالبة القيادة المصرية بالمجيء الى تحقيق الوحدة مع مصر وذلك تنفيذا لمبادئ كنت طرحتها أنا الفريق عفيف البزري عندما توليت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة.

1 - المهمة الأساسية للجيش حماية أرض الوطن من كل عدوان.

2 – صيانة استقلال القطر العربي السوري والعمل على إحباط كل تآمر يمس هذا الاستقلال

3 - العمل على تحقيق الوحدة العربية بدءا من الوحدة مع القطر المصري. وكان استقبال الضباط المجتمعين ذلك الطرح بالموافقة بدون تردد وبكل حماس. ولكي أمنع كل عمل يعطل هذا الأمر ويعيقه أمرت باستمرار الاجتماع الى أن تتم الأمور التالية:

ا – كتابة رسائل الى كل من رئيس الجمهورية ورئيس المجلس النيابي ورئيس الوزراء ووزير الدفاع بتوقيع القائد العام للجيش والقوات المسلحة لطلب العمل على إتمام أمر الوحدة مع مصر وإبلاغ هذه الجهات أن وفدا من الضباط سيسافر الى القاهرة فورا لعرض هذا الطلب على القيادة المصرية العليا. فالدستور السوري والقوانين السورية تحض نصا وروحا على العمل لتحقيق الوحدة العربية بكل طريقة ممكنة. وكان الإمكان في تلك الليلة واقعا ولا شيء يمنعه الا النيات السيئة.

ب – انتخاب وفد الضباط الى مصر برئاسة القائد العام اللواء عفيف البزري.

ج – تجهيز طائرة تحمل الوفد المذكور فورا الى مصر.

وقد أبلغ الملحق العسكري المصري العقيد عبد المحسن أبو النور الذي دعي لابلاغه قرار الاجتماع والطلب اليه ابلاغ القيادة المصرية العليا أن وفدا سوريا يتجه الليلة الى القاهرة لعرض قرار الجيش السوري. وقد حاول الضابط المصري المذكور تأخير العملية بكل ما أوتي من قوة الا أنه قوبل بالرفض وقيل له أن عليه فقط إبلاغ قيادته بما يحصل وليس محاولة عرقلة الأمور فالطائرة السورية حاملة وفد الضباط المذكور متوجهة الى القاهرة حتما.

أما الرسائل بتوقيع القائد العام للجيش والقوات المسلحة الى المسؤولين فقد حملها العميد أمين النفوري الى أصحابها في صبيحة اليوم التالي وهي معروفة وليس بوسع أحد انكار وجودها. كما أنه ليس بوسع أحد أو أية جهة من الجهات أن تدعي بأنها كانت وراء هذا الأمر من قريب أو بعيد. فظروف أمتنا في تلك الأثناء كانت هي الوحيدة التي شجعت هذه المسيرة التي انطلقت بكل يسر وسهولة. ما كان هنالك انقلاب كما يدعي بعض سيئي النية والبسطاء المغرورين وإنما كان إنجاز وطني تقدمي تحقق بالاستناد الى إرادة الأمة التي أشرنا أعلاه الى تجليها بأكمل شكل بالأفراح التي قامت في أيام الوحدة. لم يستنفر أحد في الجيش في كل تلك الأيام وإنما منع الضباط الذين تقدموا هذا الأمر وحضروا ذلك الإجتماع من الذهاب الى أهليهم كي لا يشيع الأمر وتصل الأخبار الى العدو قبل تحرك الطائرة حاملة وفد ضباط الوحدة الى القاهرة. وقد قبل المسؤولون في كل من سورية ومصر طلب الجيش المذكور في إنجاز الوحدة السورية المصرية كما تقبله عفويا الضباط السوريون عندما عرض عليهم الأمر في الاجتماع الآنف الذكر.

وقد انهارت الوحدة، لا بسبب الجماهير ولكن بداهة بسبب الجرائم والأخطاء التي ارتكبها المسؤولون عن حفظها وصيانتها من الضياع. أما أعداؤها فانهم الأعداء وقد حاربوها بكل ما استطاعوا ولكننا نحن المسؤولون عن ضياعها. والجهات الوحدوية كما هو معروف وواقع ماديا، البعثيون والناصريون وبقية الوحدويين، فقد أتيح لها التوحيد بدون أي عائق قانوني أو سياسي الا عائق المستعمرين وأذنابهم وكل من يعطي أذنه الى الأميركان والصهاينة، ولكنهم مع ذلك لم يحسموا الأمر كما فعله ضباط الجيش السوري الذين حققوا تلك الوحدة المصرية السورية. وهذا ما يشكل ردا مفحما لكل أولئك الذين تشدقوا بالوحدات المدروسة، اذ ماالذي كان يمنع أولئك الوحدويين في مصر وسورية والعراق من "دراسة" وحدة لهذه الأقطار غير الواقع الاستعماري

الأميركي؟ وقد اعتمد المستعمرون الأميركان في فصم الوحدة وفك الحصار عن إسرائيل بمسخ الوحدة وقلبها الى عكسها بالالحاق ثم سحقها بالانفصال النفسي الذي نسج خيوطه أولئك الأغبياء الحمقى من المصريين الذين أتوا الى سورية لإقامة عرش فرعوني يمزق ويشتت بدل التوحيد الذي جبلت عليه أمتنا."

المتاعب مع المصريين

وقع شجار بيني وبين المشير عامر بسبب تسريح 102 ضابط فلسطيني في جيشنا ونقل آخرين الى مصر. كنت غاضبا وزادت الأمور سوءا عندما أخذ مصطفى حمدون وعبد الحميد سراج إضبارات الأركان العامة وسلموها للمشير عامر. ذهبت الى مكان إقامة المشير في الأركان وأنا في حالة من الغضب شديد. لم أسلم عليه بل ابتدرته قائلا "هل أتيتم الى سورية فاتحين، أم أننا نحن الذين صنعنا الوحدة معكم؟ لماذا تعاملون الجيش السوري هذه المعاملة؟ هل تكافئون الضباط الوطنيين المخلصين الذين كانوا يفضحون المؤامرات على سورية ويسهرون على صيانة استقلالها بالتسريح والنفي؟ وكيف تأخذون أضابير قيادتي بدون علمي؟ ألست أنا قائد الجيش في سورية ومسؤولا عن كل ما يجري في هذا الجيش؟ لا يمكن أن أقبل بهذه الأمور الفوضوية المنافية لكل انضباط"..

أذكر يومها أنه عاد الى البيت حزينا متجهما وقال "كل من يسأل عني أو يتلفن لي فأنا لست موجودا". وخلع ثيابه ونام فعرفت أنه يواجه المتاعب مع المصريين .

جاء الضابطان أحمد حنيدي وطعمة العوض الله وسألا عنه فقلت لهما بأنه ليس موجودا، وتبادلا نظرات الدهشة والاستغراب. كانا يعلمان بأنني لا أصدقهما القول وانسحبا دون أن يعلقا بشيء.. وتلفن أكرم الحوراني فقلت له نفس الشيء، وكنت محرجة، ضيقة الصدر بكل ما يجري، فالمتاعب بدأت تظهر مباشرة بعد الوحدة وكأنها مقصودة، والأزمات تتلاحق ..

ذهب عفيف مع عبد الناصر الى حلب وعندما كان يخطب كانت الجماهير تهتف: "بزري، بزري!" وهذا مالا يغفره رجل كعبد الناصر لا يريد اسما آخر ينافسه مكانته. وظهرت الحساسيات من جديد وزعماء الأحزاب ورجال السياسة يحتشدون في قصر الضيافة ويرتمون على الأبواب لمقابلة عبد الناصر، وتقديم الولاء له الا عفيف فانه لم يزره أبدا الا بدعوة منه.

رن التلفون في صبيحة اليوم التالي وكان المتكلم عبد الناصر فقلت "أهلا سيادة الرئيس، لحظة فقط لأوقظه ".

كان متنبها، سأل عن المتكلم، قلت له "عبد الناصر يطلبك على التلفون!

دعاه للافطار معه في قصر الضيافة.

كان قد حدثني عما جرى بينه وبين المشير في الليلة الماضية وأضاف: "المشير لا يفعل شيئا بدون أوامره. انه وراء الاستفزازات التي يدفعني اليها لأستقيل. كنت مخدوعا في السابق حين كنت أظن محمود رياض يتصرف من تلقاء نفسه، وليس لعبد الناصر دخل في الأمر. ان ما بيننا صراع مبدئي. الوحدة التي نشدتها قوة للأمة العربية هي غير الوحدة التي يريد منها أن تركع سوريا وتصبح أسيرة بين يديه. مامعنى كلامه اذن أن المعركة بيننا وبين الاستعمار قد انتهت؟ هو يعني بالاستعمار الاستعمار القديم المتمثل في انجلترة وفرنسا وليس لديه أية رؤيا عن الامبريالية الأميركية والاستعمار الحديث، وبالتالي ليست لديه خطط لمقاومتها أو مقاومة اسرائيل قاعدتها..

ارتدى ثيابه دون حماس كبير، وذهب الى قصر الضيافة. كان على الفطور المشير عامر والبغدادي وآخرون. وبعد الافطار استدعاه عبد الناصر الى غرفته بمفرده، وعاتبه على ما كان بينه وبين عامر، وعلل تصرف عامر بأنه يخشى منه الغدر والقيام بانقلاب في سوريا .

قلت له "أنا لست غادرا ياسيادة الرئيس والغدر ليس من شيمي. عندما سعيت الى الوحدة فعلت ذلك عن قناعة وليس لمصلحة شخصية.. ان الوصول الى القمة لم يكن عسيرا علي، وما كان يكلفني الامساك بمقاليد الأمور أي عناء، ولكنني لا أمارس الأمور بهذا الشكل ولا أضع ذاتي فوق مصلحة الشعب والوطن. ان لسوريا تجارب كثيرة مع هؤلاء الذين أحبوا السلطة من أجل السلطة وذواتهم، وما دام حكم أي منهم أكثر من ثلاثة أعوام.. ان كل ما كنت أبتغيه من الوحدة أن تكون قوة لسوريا وقوة لمصر والعرب ولتقاليد النضال في أمتنا.. ولست أرى في تسريح الضباط الفلسطينيين سيرا في هذا الخط النضالي ولا في نقل الضباط الآخرين الى مصر الا اضعاف لقوة الجيش السوري تجاه العدو.. وهذه التصرفات من وراء ظهري! لاتكرروا الأخطاء التي وقعت في السودان وتجهضوا أمل الأمة في الوحدة..

قال عبد الناصر – ما رأيك أن تترك الجيش وتشارك في الحكم، وتختار أية وزارة تناسبك؟ اذهب الى القاهرة، ان القاهرة هي أم الدنيا..

– لماذا أترك الجيش؟ هل الجيش هو خارج الحكم؟

– فقط من أجل التنسيق.

– أعتبر هذا العرض رشوة لي.

قلت له – لماذا اعتبرت مشاركتك في الحكم رشوة لك؟

– طبعا لأنها تجيء في ظروف مريبة، يفرغ الجيش من أكفأ الضباط، وأنا أشارك في الحكم المدني.. لو فعلت هذا لمرغ بي الأرض كما فعل مع صلاح سالم وغيره.. لا يريد حوله رجلا قويا، وهؤلاء البعثيون الذين يتعاونون معه ضدي الآن سيأتي دورهم..

– وكيف كانت ردود فعله تجاه إصرارك على عدم التخلي عن الجيش؟

قال بأن الجيش يتطلب أن يكون في البلدين تحت قيادة واحدة وأضاف:

– أنت والمشير لن يتنازل أحدكما للآخر، فها أنت لا تحتمل أن يطلع المشير على الاضبارات في حوزتك..

– سيادة الرئيس، الجيش هو انضباط كما تعلم، ليس فقط من الأدنى للأعلى، بل أيضا من الأعلى للأدنى. ان كان المشير يريد الاطلاع على الاضبارات فهو يطلبها مني، ولا يحصل عليها دون علمي، وان أراد التنسيق فهو ينسق معي في الشؤون العسكرية السورية فأنا أدرى بجيش بلدي منه.. ولن نختلف أبدا ان كان هدفنا واحدا وهو حماية الوطن العربي من أعدائه. أنا لا أغدر به ولا أبعده عن مركز القوة كما يدعي، ولكنني عندما أرى خطأ أو سوء تصرف لا أسكت عنه حتى لو كان الثمن حياتي. أنت لاتعرفني سيادة الرئيس ولا تعرف ماضي، لم أرضخ يوما لأوامر ظالمة..

وقصصت عليه ماحدث لي زمن الاستعمار الفرنسي في سوريا حين استدعاني مندوب المفوض السامي الفرنسي دي زسار في حمص وأخبرني بأن لديه أوامر من المندوب السامي باعتقالي لأنني أحرض الجيش على العصيان والالتحاق بالحكومة الوطنية..

كان عبد الناصر يدبر لي مكيدة لابعادي عن الجيش بأي ثمن، فهو من جهة يؤكد لي أهليتي لاستلام قيادة الجيشين في سوريا ومصر لأن عبد الحكيم عامر مدمن حشيش، ومن جهة أخرى يقطع الأواصر بيني وبين ضباطي الذين أعتمد عليهم باغرائهم بالوزارات على أن يقطعوا بدورهم علاقاتهم بالعسكريين، حتى الصداقات العائلية. وبقي عبد المحسن أبو النور يجمع المعلومات عن الضباط الذين يعتقد أنهم يؤيدونني حتى بلغت القائمة مائتي ضابط سرحوا بأمر من المشير. ونقل كثيرون من أماكنهم، ومن بينهم الضباط الطموحون الذين نقلوا ولاءهم الى عبد الناصر تاركين الجيش الى المناصب الوزارية، ولم يكن واحد من بينهم ذو ميول شيوعية من قريب أو بعيد. أنت تعرفينهم. انهم الضباط الذين كانوا يحتفلون في الشرفة عندنا ويهللون لعبد الناصر يوم تأميم القناة، ويوم صفقة الأسلحة التشيكية..

كان عبد الناصر قد قال لي بأن أي نزاع بيني وبين المشير عامر أرجع فيه اليه. ركبت الطائرة الى القاهرة لأوقف التسريحات والتنقلات وهذا العبث اللامسؤول اللاأخلاقي في جيشنا الذي كان متماسكا كالصخر في وجه التحديات الامبريالية. واجهتني في غرفة الاجتماعات بالقيادة العامة للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة وجوه غدر تتهم ولا تريد أن تصغي أو تتراجع عن غيها. قلت لهم "اذا لم تلغ التسريحات والتنقلات فانني أستقيل".

خبطت بيدي على الطاولة وغادرتهم الى فندق شبرد حيث أنزل. وفي الصباح قرأت خبراستقالتي في الصحف مثل كل الناس .

"صدر قرار بقبول استقالة الفريق عفيف البزري قائد الجيش الأول".

فـــــي مصـــــر

وقفنا في الشرفة الواسعة المطلة على نهر النيل والممتدة على طول حديقة قصر الجيزة. كان الصغيران يتراكضان فرحين بالمساحة الشاسعة لممارسة نشاطهما. أخذ عفيف يتحسس الديوان ويقلب الحشية والوسائد قبل أن نجلس وقال:

–الجلوس هنا أفضل من الداخل. المكان خال من أجهزة لالتقاط حديثنا.

سألته – هل أنت معتقل؟

قال ساخرا – بل أنا في ضيافة الرئيس.

–وفيم وجود كل هؤلاء الرجال الذين يحيطون بنا؟

–الرئيس يكرمنا. في القصر ثلاثة عشر موظفا هم تحت تصرفنا.

–لو كنت ممن يتشاءمون لتشاءمت من هذا الرقم، ولكنني من الناس الذين يحولون قضبان السجن الى أوتار قيثارة.. هل تعلم بأنني كنت أعد نفسي قبل أن أغادر دمشق لاحتمال أسوأ الظروف ؟ ولكن الأمر ليس بالسوء الذي تخيلت..

تأوه وقال "أيام سوداء تنتظرنا".

–لا، أبدا. السواد سيجلل بالعار كل من أساء اليك، ولكن لعل الأمور تصلح ..

–كنا واهمين، والآن أفقت من الوهم. تقدمي وقع بيد فاشستي.

–لماذا استقلت؟ يلومونك في دمشق لأنك استقلت..

–لم أستقل، جرت مشادة بيني وبين عبد الحكيم عامر: انه يسرح من الجيش كل الوطنيين الشرفاء الذين لا يرضى عنهم البعثيون والسراج. مائتا ضابط سرحوا من الجيش دون علمي وموافقتي، قلت له سوريا لم تسلم نفسها بعد هزيمة فتعامل كبلد محتل ولكنها أقدمت على الوحدة بمحض ارادتها ". جئت الى مصر كي أوقف هذه المهازل.. هددت بالاستقالة فاذا بي أجد نفسي "مستقيلا" في اليوم التالي في الصحف دون أن أقدم طلبا رسميا بذلك!..

–تركت دمشق تغلي. لقد مزق أحد الضباط صورة الرئيس فاعتقل. كان خبر استقالتك خيبة أمل للكثيرين بالوحدة.

–يحز في نفسي أن أخدع بأنبل عاطفة عندي ..

–لا تلم نفسك. صنعت وحدة حلمت بها الأمة العربية أجيالا..

–ولكنها تحولت الى مهزلة. لم يكن من حقي أنا الذي أومن بالشعب أن أضع ثقتي بحكم فردي. أشعر بمرارة قاسية كآلام النزع..

–ليست غلطتك أن يحرف غيرك الغاية التي كنت تنشدها في أن تجعل من الوحدة قوة للأمة العربية تجاه الأخطار المحدقة بها..

– بل هي غلطتي وأنا المسؤول عنها. لم يكن هذا الأمر يحدث لولا أن وضعت فيه ثقلي. كلهم والبعثيون في مقدمتهم لم يكونوا يريدون الوحدة بل أن يزيحوني ليحكموا هم باسم عبد الناصر..

– تركتهم في دمشق يثيرون ضجة كبرى حول السراج ويصنعون له بطولة مزيفة.. المصريون اختصاصيون في افتعال حدث وتضخيمه لاخفاء حدث آخر وهو أسباب استقالتك والوحدة لم يمض عليها شهران.. السراج وعبد المحسن أبو النور رتبا لي السفر اليك أنا والصغيرين. والآن تتضح لي أمور أخرى: أي أن الاستقالة لم تكن بارادتك بل فرضوهاعليك.. ان أناسا من المخلصين اليك أسروا الي بأن السراج كان عميلا للمخابرات المصرية منذ زمن بعيد وقد رفضت أنت هذا القول حين حدثتك به..

–ربما، ولكن اذا كانت الشكوك تساورني بالسراج وغيره من الضباط الذين أعتمد عليهم فبمن أثق؟

– لماذا أنت ساهم؟

–سمعت كل شيء في المذياع، وكان عندي نفس الانطباع..

–ان أي حاكم في مركز القوة يستطيع أن يحشد مائة ألف مرتزق ومخدوع ومنافق وفضولي يصفقون له..

–لايجب أن نقع في الوهم، هناك تيار قوي يساند عبد الناصر في سوريا، هناك أناس لا أشك في إخلاصهم يتبعونه.. ان علي أن أفهم هذه الظاهرة أو أفقد الثقة بعقول الناس..

–العقل الجماعي عجيب التكوين، ليس فيه عقلانية..

–حين تحدث تلك المبالغة وذلك الاندفاع...

– فعل الناس ذلك في الماضي، ثم خاب أملهم فتراجعوا. الوحدة حدثت، فماذا يريد منا عبد الناصر بعد ذلك؟ ينفينا الى مصر! حسنا ليس في هذا بأس. يزيل اسم سوريا من الوجود؟.. لا يستطيع أن يفعل ذلك.. يدمر الجيش السوري؟ حمل الآن عبء الدفاع عن سوريا فليكن على مستوى المسؤولية. نكره الدكتاتوريات؟ نحسب أنفسنا في ظل دكتاتورية سورية. مثل هذا الحكم يحمل بذور فنائه فيه. تزول الدكتاتورية وتبقى الوحدة..

–كم كنت أفتقدك والصغيرين. أنظري اليهما كيف يلعبان ويتناغيان. ياأحبائي!

–لو تدري كيف عشت الأيام الماضية في غيابك. مرت بي أيام عصيبة. كنت نهبا للغضب والحزن والخوف والأحلام المزعجة فأسقطت حملي!.

–أرى شحوبك، كيف أنت الآن ؟

–ردت روحي الي!..

–ستحملين غيره..

– نعم سأحمل غيره. سرقوا فرحي ولكنني سأصنع الفرح من جديد. أذكر ذلك اليوم الذي جئتني فيه متهللا. كنت عائدا من مصر تهيئ لهذا العمل الخالد. لم أر وجهك في مثل هذا البهاء، كان يكسوه ألق نوراني يبهرني. لم أشعر بالنشوة كما شعرت بها في ذلك اليوم وأنت تمطرني بالقبل، كنت تعبر عن فرحتك الكبرى التي ينوء بها صدرك. كنا نعبر عن فرحتنا بالوسيلة الانسانية الوحيدة التي تجعلنا كلا واحدا والشمس في الخارج في كبد السماء. وكنت تريد أن يكون لك طفل ذكرى لذلك اليوم السعيد، فلما فقدت حملي تشاءمت، بكيت كثيرا، أحسست بالجرح والاحباط كما لم أشعر في حياتي.

–علينا أن نتحلى بالصبر. انني ألوم انفعالي. لقد تركت لهم حجة للغدر بي. في النتيجة لا يصح الا الطريق الصحيح.. فالأخطاء تهلك صاحبها قبل أن تهلك من يغدر بهم.. يكفيني أنني لا أفعل الا بوحي ضميري وما تمليه علي قناعتي ووجداني..

– كان صدري منقبضا وأنا أصغي الى مسرحية "القلم" التي تمثلها أجهزة عبد الناصر. شعرت أن بطلا مزيفا يعد ليحل محل بطل حقيقي. ونمت على هم ثقيل فحلمت بك كأنما أطبق عليك رجال يريدون الغدر بك وأنا أراهم وأصيح لأحذرك، ولكن صوتي لا يخرج من حلقي، وأفقت وأنا أعول. "هذه الوحدة كمين ".

–حتى لو كانت كذلك فمن واجبنا أن ندفعها في الاتجاه الصحيح..

واقترب أحدهم يحمل صينية فيها شراب المنجا المثلج، ويسأل عن الوقت الذي نحب فيه أن يكون الغذاء جاهزا فطلبت أن يكون كعادتنا في الثانية.

–شاهدت سبعة منهم حتى الآن، لو أنهم يتركوننا وحدنا لعملوا معنا معروفا. ألا نستطيع أن نطلب منهم الانصراف؟

– لديهم مهمات، أتركيهم على راحتهم.

قالت سلام بنت الثالثة وهي تتعلل الشراب –أنظري أمي، سفينة في البحر!

هذا ليس بحرا يا حبيبتي، انه نهر، نهر النيل. كم كنت أتمنى لو زرت مصر في غير هذه الظروف. كم كان يبهجني نهر النيل وهذه المناظر الرائعة. وقال يوسف الذي يصغرها بعام.

–ماما، هذا مكان جميل.. أريد أن أبقى دائما هنا..

–لا قدر الله!

وقال عفيف – سنبقى على شرط أن تكونا مهذبين ولا تكسرا شيئا هنا.

ولما عاد الرجل ليأخذ الكؤوس طلب اليه عفيف أن يزيل كل التماثيل الثمينة التي كانت في القصر خوف أن يعبث بها الصغيران، وتركناهما يمرحان على راحتهما في كل مكان.

كنا نصرف الوقت في النزهات حيث نتمكن من الحديث أنا وعفيف باطمئنان بينما يأخذ السائق والمرافق الصغيرين ويعتنيان بهما. وأحب الأماكن الينا كانت القناطر الخيرية حيث المكان ظليل بالشجر، والأرض سندسية فيلعب الصغيران بحرية وأمان.

كان عبد الناصر محور حديثنا في أغلب الأحيان، قلت له يوما:

– كنت قليل الثقة به، كان تعليقك الذي لا أنساه يوم محاولة اغتياله في يوم عرسنا بالذات حين تركت الضيوف وذهبت الى الصالة تصغي الى الأخبار من القاهرة ولحقت بك "الدجال، انه يدبر لتصفية جماعة ما" كيف استنتجت هذا وما كنت تعرف عنه شيئا؟

-الاسلوب الذي كان يخطب به. الرصاصات تنطلق وهو يقوم ويقعد ويكمل خطابه.. ان أحدا لا يكون في مثل هذا الاطمئنان على نفسه الا اذا كان هو مدبر المؤامرة ويعلم تماما أن الرصاص لن يصيبه بسوء كما في المسرح.. ولقد تحققت شكوكي فيه فيما بعد.

-لماذا ارتفع أخيرا في ميزان تقديرك؟

-أعمانا موقفه البطولي في تأميم القناة.

-ألا تظن بأن من له ماض مشرف كهذا لا يمكن أن ينحرف؟ لعلها سياسة تعمية.

– لا، انه يعتقد أن مهمته انتهت بطرد الاستعمار القديم، أما الاستعمار الحديث فلا يقيم له وزنا. نحن في سوريا تخلصنا من الاستعمار القديم منذ عام 45، وعرفنا الاستقلال والديموقراطية طوال الخمسينات وقاومنا المؤامرات الأميركية المتكررة على سوريا وضربنا عملاءها، ولم يحدث مثل هذا في مصر. فعندما يقول عبد الناصر " انتهت المعركة مع الاستعمار، فهو يعني الاستعمار القديم، أما الحديث فانه يتعاون معه ولا يعاديه ولا يعتبره استعمارا، بل ان أميركا ساعدته للتخلص من الاستعمار القديم لتكنسه من المنطقة وتمكن لنفسها فلهذا هو حريص على إرضائها. وهذا هو الاختلاف الجوهري في وجهتي النظر بيني وبينه. ان الاستقلال في مصر هو ظاهري وغير حقيقي.

– اذا كان جاهلا أمره فلا بد أن يكتشف الحقيقة. والشريف مع الشريف لا بد أن يلتقيا، فيحدث التطابق في وجهتي النظر ويتوحد القطران في مقاومة التسلل الأميركي الى المنطقة.

– أستبعد هذا. فأنانيته تعميه. هناك أمور جرت في مصر كانت غامضة عندنا في سوريا. اخوان لي مخلصون كنت أعرفهم هنا أسروا في أذني بوقائع لو كنت أدري بها لما استعجلت هذه الوحدة. نحن مقصرون وأحزابنا مقصرة.

وضباطنا في القوات المشتركة إما كانوا مخدوعين أو مرتشين من أجهزة عبد الناصر. أمور كثيرة لم نكن نعرفها عن سادة مصر الجدد. لم تكن عندنا صورة حقيقية لما يجري هنا. الغدر بالإخوان وكان منهم له دلالته. كان علينا أن نحذر. وقيل لي أنه انتمى الى خلية شيوعية وأوقع بالمنتمين الى هذا الحزب. أما بين أصدقائه الخلص فكان يدعى الكولونيل جيمي. وتصرفه مع محمد نجيب أبي الثورة واختطاف السلطة منه له مغزاه. وقيل لي أنه أحرق القاهرة. إن تجربتي معه من السوء بحيث أشعر بالميل لتصديق ما يروى عن.. تصوري...

- لماذا صمت؟

- لا ليس هناك شيء.

- بل هناك شيء.. انك أثرت فضولي..

– أساليبه المنحطة في تملك الأشخاص، إفساد الضمائر. ولكن هذا لا يجب أن يجري على لسانك لأي كان، حتى أختي.

- ثق أنني لن أفوه بكلمة ما دمت نبهتني.

– سيأتي اليوم الذي أسترد فيه القوة وأفضح زيفه، أما الآن فنحن تحت رحمته. اذا علمت أي جهاز فاسد يمتلك، وأن أحدا فيه لا يتحرك الا بإمرته، علمت أي رجل هو وأية عقلية يمتلكها، وأي بلاء أصاب هذه الأمة بتحكم أمثاله. انه يدرس موضع ضعفك، يرشوك أو يدمر شرفك أو يغتالك. هذا هو أسلوبه. بعث الي بممثلة معروفة (كان قد جندها في المخابرات يستدرجني. ظننت في البداية أنها صحفية فقابلتها في صالة الفندق، وأنا كما تعلمين قليل الاهتمام بالممثلين والممثلات وأسمائهم. واذا بها تحدثني عن شؤونها الخاصة وخلافها مع زوجها ورغبتها في أن تقيم علاقة معي. قلت لها "هذا الحديث لايهمني ولي زوجة وطفلان ولا مكان لغيرهم في قلبي" وتركتها ومشيت. سألت عنها صديقا لي فعلمت أنها من المخابرات. وحاول قبل ذلك رشوتي بالمال أو حتى إقراضي فقلت لمن جاءني " أنا لست بحاجة الى المال ". يأتيني واحد ويعرض علي قرضا بمئات ألوف الجنيهات كيف أفيه؟ ويقترح علي آخر إقامة مشروع مشترك يقدم هو المال وأقدم أنا خبرتي في شؤون لاأفهم فيها، ثم يأتي غيره يجس نبضي في عرض إحدى السفارات علي. هذا الأسلوب السافل في معاملة الناس، إثارة غرائزهم ثم تهديدهم بسقطاتهم أو بسحب نعمه منهم لإخضاعهم. ما كان أغناه عن هذه الوسائل لو كان يتبع طريقا ترضى عنه الأمة والناس الشرفاء. انني من الرجال الذين يبيعون دمهم في سبيل مبادئهم دون مقابل. ليس صعبا أن يجد معي أسلوب التفاهم لو كان يريد لقاء فيه خير لهذه الأمة. ولكن مالنا ولهذه السيرة، كم افتقدتك!

-هكذا اذن! يريد إغراء زوجي الحبيب، يقول لنفسه "رجل وحيد وحزين".

-لا تخشي شيئا. في الليالي الكئيبة الموحشة كنت أستمع الى صوت أم كلثوم. اشتريت مسجلا وسجلت أغانيها الجديدة التي أسمعتك اياها. كم كانت تعبر عن شوقي. كم افتقدتك!

لم أقم بزيارة لأسرة عبد الناصر كما كان متوقعا مني الا مرة واحدة وبناء على طلبه. أدركت أن رأب الصدع لم يكن من واجب عفيف اذ ربما يفسر بتهالك منه على المنافع، وعفيف طعن في أعز ما يملك: في ثقته بعبد الناصر فالتغيير يجب أن يأتي من جانب الأخير. كنا لانزال ضيوفا عليه عندما تلفن يسأل عن أحوالنا وكان من الطبيعي أن يشكره عفيف على حسن ضيافته ويطلب منه الاذن في العودة الى دمشق قال له "أترك لي هذا الأمر الى وقت آخر. ان أم خالد تحب أن تتعرف على أم سلام (الاسم الذي كنت أوقع به قصصي القصيرة) فمتى تفضل زيارتنا؟ فاعتذر عفيف عني بسبب ألم ضرسي وورم خدي (كنت أعاني من بروز ضرس العقل حينذاك) وأجل الموعد الى أن أشفى. فاقترح بلباقته المعروفة أن يبعث الي طبيبه الخاص فقال عفيف بأنني أتعالج عند طبيب قريب من المكان الذي ننزل فيه ولا ضرورة لإزعاج أحد. ذهبت في الأسبوع التالي وتعرفت على أم خالد وعلى أسرة عبد الناصر: أبنائه وبناته ودخلت سكرتيرته وجلست معنا فترة واقتصر الحديث على مواضيع عامة، عن الطقس والملكة دينا التي كانت تراسلني قبيل الوحدة وطلبت مني مجموعتي القصصية التي نشرت لي في مصر. كانت السكرتيرة هي التي تتحدث أما أم خالد فبدا لي أنها لاتبالي لا بالشؤون السياسية ولا الأدبية وانما هي سيدة بيت واهتمامها محصور بالبيت والأولاد.

لم تترك تلك الزيارة لدي أي انطباع ولم أر عبد الناصر الذي كان مشغولا بمقابلة أحد السفراء الأجانب. ولم أفهم الغاية التي دعيت من أجلها. ألأقدم الولاء أم لاقناع عفيف، عن طريقي، بالمكوث في مصر؟ وبعد فترة قصيرة استدعى عبد الناصر عفيف وعرض عليه وزارة التخطيط التي كانت ناشئة ليشغله بمشاكلها ويبرز جهله في الأمور الاقتصادية فاذا بعفيف يكتب على الفور كتابه "الرأسمالية بوجهيها المالي والاقتصادي " وطلب من الجهات المختصة نشره على حسابه. وانتقلنا بعد شهر من الضيافة الى فيللا في مصر الجديدة استأجرها عفيف من وزير الدولة كمال رفعت وكان يسكن في الطابق الأعلى مع زوجته وبنته التي حضرنا فرحها بعد زمن وجيز من سكنانا.

لم أعرف الراحة في مصر. فالأمراض انتابتنا. الصغيران أصيبا بالسعال الديكي اثر رحلة الى بورسعيد حيث سبحا في يوم بارد، وعفيف أصيب

بانزلاق فقاري، وكان يتوجع ويداري الألم بالمزاح وحالته النفسية تزداد سوءا. وأنا أشعر بالاختناق من الجوالحار الرطب الذي لا يلائمني، وأضيق بلسع غيوم الناموس وبالعزلة التي فرضت علي، فأنا لا أعرف أحدا ولا أرغب بالتعرف على أحد. وأصابني حنين طاغ الى دمشق وكثيرا ما رددت قولي لعفيف " لو بقيت عاما آخر هنا فانني أموت".

كنا نقوم بالنزهات كعادتنا ونتحدث أحاديثنا المعتادة ثم لا نلبث أن ننتقل الى موضوع عبد الناصر وتحليل شخصيته وتصرفاته.

عدنا للحديث عن تمجيد الطاغية في الوطن العربي سالته "هل توصلت الى فهم هذه الظاهرة؟ كنا نقول أن مصر معتادة على الحكم المطلق منذ الأزمنة السحيقة بسبب ارتباط معيشتها بنهر النيل ولم يتغير الأمر عليها في انتقالها من الملكية الى الدكتاتورية، فما بال سوريا العريقة بالتقاليد الديموقراطية تحذو حذوها؟"

– بالدرجة الأولى تواجد اسرائيل في المنطقة جعل للدكتاتوريات العسكرية مكانة مرموقة. الناس مقهورون، ويبحثون عن منقذ.. ولكن هذا لايكفي لمثل هذه المبالغة وذلك الاندفاع. حين يحدث هذا لابد أن تكون هناك طبقة اجتماعية تستفيد من مثل هذا الحكم. لا يستند أي حكم الى فراغ.

– من في رأيك هذه الطبقة المساندة؟

– البرجوازية الصغيرة. طبقة أصحاب الدكاكين، لا شيء يربط ما بينها، فردية، نزاعة الى التقوقع والتسلط. انها برزت وتألقت وشعرت بسيادتها في السوق مع ضرب البرجوازية الوطنية الصناعية. هي اليوم تتحكم في الاقتصاد وتصعد لاحتلال مواقع البرجوازية القديمة، ويتشفى حسدها وغيرتها، من مصائبها. هذه الطبقة المدينية لا تفكر بالعدل الاجتماعي وتخشى التغييرات الاجتماعية التي تحد من طموحاتها، ومثلها الفلاحية التي تخلصت من الإقطاع. أقصى طموحاتها أن يكون لكل فرد فيها قطعة أرض، أي أن يصبح برجوازيا صغيرا حتى لو أدى هذا الى انهيار الانتاج. هذه الطبقة هي عدوة التخطيط وهذا الحكم إفرازها. أبناؤها في الجيش هم الحكام. ليس مصادفة أن يعلق كل صاحب دكان صورة ديكتاتور في صدر دكانه، ثم يبدلها بصورة آخر حين تولي أيام الأول وأمجاده. ان شخص الحاكم لا يهمه بل مصلحته التي تتأكد من خلال ازدهار فردي وقتي متخلف. انهم يعدون نقودهم آخر النهار ويعرفون لمن يعطون ولاءهم. أما التصنيع، أما التطوير، أما التخطيط، أما إنقاذ البلاد فلا تشغل بالهم ولا يدرون بالتالي من يكرس تخلفهم.

–هل تشعر بالندم على قيامك بالوحدة؟

–في هذه اللحظة أشعر بالندم. كان يجب أن أدرسهم درسا كافيا. كان يجب أن أعلم من هؤلاء الذين أضع يدي في أيديهم وأتخلى عن قوتي الذاتية وقوة سوريا لهم.

-يبدو لي أن الوحدة كالزواج. تنازل من طرفين يربط بينهما الحب عن بعض استقلالهما. قد يحدث في البداية بعض التناقض وبعض الجفوة ولكن لا يلبث أن ينتصر الحب ان كانت الرغبة متبادلة في بناء الأسرة. ليست الحياة كلها صفوا.

-أنا لاأحزن من أجل نفسي، لا يهمني السجن ولا الموت لو كان خط السير سليما، ولكنني أرى أن الأزمة بيننا عصية على الحل، انها أزمة مبادئ وأهداف.

كيف حدث هذا النزاع وتأزم ونحن في بداية الوحدة؟

-الأنانية والتسلط. يريد حوله زعماء ورؤساء وقادة من صور متحركة، لا يملكون حتى ابداء الرأي، ظلا له. كانت الأوراق والمستندات تجري من قيادة الجيش الى السفارة المصرية دون أن أعلم بها وكانت التنقلات والتسريحات تجري دون أن أبدي رأيا فيها.

التخريب كان جاريا منذ اليوم الأول للوحدة، بل قبلها بكثير. هم كانوا وراء تخريب الجبهة الوطنية. كنت أحمّل السفير المصري الملامة لما كان يجري وأنه رجل لا يلزم حدوده، ولكنني بت أعتقد أنه لم يكن الا أداة منفذة. شاهدته يقف ذليلا ساعات طويلة على باب الرئيس يستجدي الاذن له بالدخول، بل انه كان يرجوني أن أتوسط له. مثل هذا الرجل لا يقوم بحركة دون إذن سيده!..

-رأيته وزوجته في المطار يوم قدمت الى مصر. كانا ينتظران أن تقلهما الطائرة السورية الى دمشق، وتبادلنا سلاما خاطفا أنا وزوجته، وتأوهت في أعماقي للمفارقة: انهما ذاهبان لحكم سوريا، وأنا ذاهبة الى المعتقل مع زوجي في مصر!..

جئنا على ذكر محمد حسنين هيكل فذكر لي هذه الحادثة.

- في قصر الضيافة في دمشق أحاط بي الصحفيون المصريون ومن بينهم حسنين هيكل ومصطفى أمين. أراد هيكل أن يجرني الى نقاش أيديولوجي فسألني "ما رأي سيادتك بالحتمية التاريخية؟ ".. كنت أعلم بارتباطه بالمخابرات الأمريكية، وما كنت أرغب أن أخوض معه في مثل هذا الحديث. قلت له: "ان ديكارت يقول بأن الناس متساوون من حيث الذكاء، و هذا صحيح بالنسبة للذكاء المطلق، و لكن هناك ذكاء نسبي وفي هذا يختلف الناس.. فتصرفات الانسان وحوافزه لا يمليها عليه وعيه بصحتها أو خللها، أي مدى تأثير الذكاء المطلق عليه، فهناك عوامل كثيرة: مصالحه، غروره، جشعه، الى آخره. فلو قسمنا الذكاء على هذه العوامل، فان الحتمية التاريخية تقول بأن نصيبه من الذكاء النسبي يقل بقدر ما تكثر لديه العوامل الأخرى التي تؤثر في تصرفاته. و لتبسيط الأمر آخذك أنت و مصطفى أمين مثالا. ان وزنك قليل فلو قسمنا الذكاء المطلق على كمية اللحم التي عندك فان حصتك من الذكاء النسبي تفوق كثيرا حصة مصطفى أمين منه (هيكل قصير ضئيل،

ومصطفى أمين عملاق ضخم). انفجر الصحفيون بالضحك، ولم ينتظروا هذا الجواب، وهيكل شارك بالضحك شامتا بمصطفى أمين الذي كان يدور بعينيه دون أن يلتقط النكتة بعد. ضحكوا حتى لم يبق لهم خواصر مما استرعى انتباه عبد الناصر الذي كان على مقربة وأخذ يتساءل عن سبب الضحك. لقد شفيت غليل الجميع من هذين المدّعيين دون أن أترك لهما وسيلة للرد علي أو النيل مني كما كانوا يأملون!..

قلت لعبد الناصر –ان الهزيمة تصنع كما يصنع النصر. النتائج لا تأتي في يوم وليلة. ومن جملة الإعداد للهزيمة أن يحاصر الشرفاء أو يوضعوا على الرف.. ان أحدنا لا يعرف عمله ولم يقبض راتبه. حذرته من هذه الأحوال، قلت له بأنه لو وقع في أزمة فلن يجد حوله الا أوغاد الناس، كل المنافقين والانتهازيين الذين ليسوا على استعداد للتضحية بقلامة أظفارهم.. وقلت له بأن النبي كان يتضرع الى الله أن يعز الإسلام بأحد العمرين: عمر بن الخطاب أو عمر بن هشام، فاستجاب له في الأول، ولم يستجب له في الثاني. وكانا ممن خاصموه ولدّوا في خصومته، فالهدف العام هو وحده الذي يجمع، وهو الذي يوحد القلوب، وهو الذي يصفي الحزازات!..

كان حين يحدثني ينفجر فجأة بقهقهة غريبة، هكذا دون مناسبة، فما كان في حديثنا ما يوجب الضحك، انني أفهم النكتة "على الطاير" لو كانت هناك نكتة. الا أنني عرفت فيما بعد سبب ضحكه: المفارقة بين ما يبديه وما يضمره. كانت القهقهة تخرج من وجه اعتاد ان يمارس التخطيط، لعله كان يغبط نفسه أنه غدر بي وجردني من قوتي وأسلحتي، كان يهيئ الخنجر ويتفرس في موضع الطعنة، يروزني، ثم تبغته صلابتي وصراحتي في قول الحق وعفويتي. قلت له "أنا رجل لا تبهرني السلطة، كل ما يهمني أن أقوم بواجبي تجاه أمتي ووطني سيان عندي أكنت في الحكم أو خارجه". سألني "ما رأيك في ثورتنا؟ "قلت له " انني لا أسميها ثورة ولكنني أدعوها انقلابا عسكريا". بدا عليه الإنزعاج الشديد فأضفت "حتى الآن هو انقلاب ولكن بيدك أن تصنع منه ثورة اذا نجحت في تغيير حياة الناس الى الأفضل!.

كان يعاملني باحترام كبير، ومن ناحية أخرى يخشاني ويعزلني لأنه لا يعرف الطريقة التي يربطني فيها بجهازه. أسلمني دائرة التخطيط وهي دائرة هامة لو كان جادا في تخطيط اقتصاده. ظن أنني سأغوص في مهام لا أعرف رأسها من ذيلها، فاكتشف أنني خبير في هذا المجال عندما خرجت بكتيبي الاقتصادي. لم يستطع أن يجعل مني مجرد عنوان لطيف لفوضى لا أول لها ولا آخر كأنما هي شلة حرير تعربست على شوك. لا أحد في جهازه كان يريد التخطيط أو يؤمن به فطلبت الاستقالة والعودة الى بلدي.. وحاول أن يسترضيني فبعث الي أحمد عبد الكريم يعرض علي أن أصبح سفيرا للصين. جاءني في الليلة التي أعددت فيها حقائبي للسفر

الى دمشق. تذكرين يومها بقي عندي ساعات طويلة يريد إقناعي ولكنني قرفت، كنت أريد الخروج من مصر بأي ثمن، كنت فيها أعزل غريبا أشبه بالسجين، مخيرا فقط بين أن يرشوني أو يسحقني، فليس بيني وبينه لقاء على هدف خارجي أو داخلي. كانت الصورة في ذهني قد اكتملت عنه، ولم يعد هناك أي وهم من الأوهام. كان يريد أن يربطني بجهازه كما يربط محكوم عليه بالكرسي الكهربائي. كنت أشعر بالكآبة الناجمة عن اكتشافي للحقائق القاسية لتلك الشخصيات التي تقودها طموحات مدمرة ولو كانت على حساب الأمة كلها، وكنت مفرط البساطة اذ حاولت أن أوقظ فيه معان إنسانية وطموحات ايجابية. لو كنت فقط في مكانه وكان في مكاني لفعلت العجائب. لو كانت لي قوة مصر البشرية والمادية لغيرت تاريخ المنطقة، ولكنني وقد أصبحت أسير الوحدة التي صنعتها، لم أكن أستطيع أن أفعل شيئا. فليحمل وحده المسؤولية التاريخية لتلك الوحدة التي ستفشل بسببه. كانت السلطة بالنسبة لي أمانة وأنا تدرجت حتى أصبحت قائد جيش تدرجا لم يكن فيه طفرة أبدا، وحتى خصومي يشهدون بنضالي وبكفاءتي ونزاهتي، ولم أجعل من السلطة وسيلة لعبادة الذات وتبديد مال الأمة وقهرها.

كان الرئيس قد بعث الي برسالة شفهية مع أحمد عبد الكريم قال " لدي التزامات تجاه أميركا فاصبر علي وسأجد لك العمل الذي يرضيك. فقط ابق في مصر". قلت " لا، سأسافر الى دمشق واذا شاء أن يستوقفني في المطار فليفعل..

تذكرين ما جرى بعدها في المطار، أراد أن يحتجزني بالقوة في مصر حتى لا أسبب له مشاكل في دمشق. لم ينقذني من المكيدة التي دبرها لي حينذاك بايقافي بتهمة ما الا وجود أمين النفوري وعائلته في المطار لوداعي، ووجود صلاح البيطار مصادفة. كانت قوات الأمن منتشرة في المطار ومدير المخابرات يدخل ويخرج من غرفة الانتظار دون مبرر، وتأخر الإقلاع عن موعده. ولما وصلت دمشق اكتشفت أن مسجلنا الجديد مكسور في محاولة عنيفة للتنقيب في داخله بالرغم أنني لم أقف على عملية التفتيش في المطار، وما كنت أحمل معي سوى بضع حقائب ثياب وهذا المسجل واستبقيت كتبي والحوائج الأخرى لتشحن في البحر.

في سوريا

لما عدنا الى دمشق كان في نية عفيف أن يتفرغ للكتابة مكتفيا براتبه التقاعدي. كنا مقيمين في منزل والده في المزة بينما كان أثاث منزلنا موزعا في بيوت الأهل. وانتظرنا أن تنتهي معاملة التقاعد حتى نستأجر بيتا ونستقر فيه.

ولكن حدثت أمور قلبت خطتنا رأسا على عقب: انقلاب 14 تموز في العراق.

- هللت مصر لانقلاب عبد الكريم قاسم، ولكن حين لم يجد فيه عبد الناصر بغيته أحاط بعبد السلام عارف ليجعل منه الرجل الذي يستلم مقاليد الأمور في العراق. فهو ألين عريكة وأكثر قابلية للإستيعاب من قاسم..

كانت مخابراتنا على اتصال دائم مع التحركات في العراق قبل الوحدة، وكانت تتسرب الى المخابرات المصرية عن طريق القيادة المشتركة. ولم تخبر أميركا البريطانيين بذلك على أمل أن تتحول الأمور الى مصلحتها..

بعد انقلاب 14 تموز في العراق أرسل عبد الكريم قاسم عبد السلام عارف الى دمشق كي يتصل بمسؤولي الجمهورية العربية المتحدة، وكان لديه استعداد للغدر بقاسم. ثاني يوم الانقلاب ذهب أمين النفوري وكان وزيرا للمواصلات الى بغداد لاستطلاع الأمر فقابل هناك الزعيم عبد الكريم قاسم وتحدثا في شؤون الدفاع عن الثورة العراقية وصيانتها من عدوان المستعمرين. في أثناء الحديث كان عبد السلام عارف يقف خلف الزعيم قاسم وفي كثير من الأحيان كان يشير الى النفوري بيديه وبالغمز ليفهمه بأنه معارض لعبد الكريم قاسم. وبعد أربع وعشرين ساعة من عودة النفوري جاء الى سوريا وقابل عبد الناصر وتفاهم معه. وأتى به الى قصر الضيافة وأمسك بيده ورفعها وأظهره للملأ بأنه أبو الثورة في العراق وجرد عبد الكريم قاسم من كل فضل (كنت قد أرسلت رسالة شفهية سرية مع النفوري لقاسم أقول له "اياكم أن تختلفوا فيما بينكم أو تتركوا لأحد أن يندس في صفوفكم" لأنني كنت أعلم أن المخابرات الأميركية ستدق إسفينا بين قادة الثورة لمصلحتها).. كان عبد الناصر قد طلب من قاسم أن يجتمع معه على الحدود على ما أذكر ليتفاهما، ولكن قاسم لم يذهب فظن أنني اتصلت به وحذرته منه فوجد علي..

وعلى أثر هذا تعرض عفيف لمحاولات متكررة لاغتياله بطريقة تبدو وكأنها من حوادث الطريق. فمرة كنت معه فاقتحمه موتوسيكل وهو يسير على طرف الرصيف بغية رميه ولاحقه على الرصيف ولم ننج منه الا بسبب ردود فعله السريعة.. ومرة أرادت المخابرات أن تورطه بتهمة الاتصال بعسكريين لا يمت لهم بأية صلة أو معرفة عن طريق ممرضة من الجوار تعرفهم كانت تأتي لزرق إبر لأفراد العائلة. ثم جاء من نصحه أن يلتجئ الى احدى البلدان الاشتراكية لأن الحكم سيلاحق الوطنيين. ورتب الأمر، وسبقنا الى بيروت، ولحقت به مع الصغيرين بمساعدة أصدقاء لنا. وما كدنا نتجاوز الحدود حتى صدر أمر بإيقافنا ولكن بعد فوات الأوان. وفي بيروت حاولوا تعطيل سفرنا بحجة أن عفيف ملاحق في لبنان، بسبب محاكمة القوميين ومقتل غسان جديد، ولكن المحاولة فشلت.

ولما وصلنا الى فيينا لم يكن أحد في انتظارنا كما كان مرتبا. كنت حاملا في الشهر الثامن والنقود التي معنا لاتكفي لبطاقة طائرة أو النزول في فندق، فقطعنا تذاكر في القطار الى بلغاريا التي كانت وجهتنا!..

كم كان عفيف خائفا علي من الولادة قبل الأوان بسبب الاهتزاز المتواصل للقطار، وأنا كنت في خشية أن أربكه. وكان المسافرون يراعون وضعي ويخلون لي أمكنتهم لأستلقي وأمد ساقي. ومرت الرحلة بسلام حتى وصلنا بلغاريا. وحين توقف القطار في صوفيا دخل رجال وسلموا علينا وحملوا أمتعتنا وحدثوا عفيف بالفرنسية بأن سوء تفاهم قد حدث بسبب تأخرنا الى الطائرة التالية في بيروت. وتنفست الصعداء. أخيرا أصبحنا في أيد أمينة! ولقد اكرمونا في بلغاريا وأحسنوا وفادتنا وعاملوا عفيف كرئيس دولة!..

الانفصـــــــال

بقينا في بلغاريا حتى زمن الانفصال فعدنا الى دمشق، ولما حطت الطائرة في المطار صعد اليها رجال المخابرات وأخذوا عفيف معهم، ثم أزيح سلم الطائرة ومنع الركاب من النزول.. ضممت الي الصغار لأهدئ سلام التي أخذت تصيح "أين تأخذون والدي يا فاشست؟" كانت تعبر عن غضبتها وعيناها تشتعلان غضبا. أصبحت الآن تقارب السابعة، وشاهدت من أفلام الفاشست ما جعلها تدرك معنى أن يؤخذ والدها وحده من الطائرة. بل إنها اعتادت على تصنيف الناس منذ ذلك العمر الصغير فهذا حباب وهذا فاشستي. حتى أنها تطلق هذا الاسم علينا لو تصرفنا بشكل يبدو لها ظالما.. وأذكر يوما وكانت في الخامسة أن تشاجرت مع أخيها يوسف كعادة الصغار فعضها عضة موجعة جعل صياحها يعلو مجلجلا. فأمسك به عفيف وضربه ضربا أليما، واذا بها تتغير عواطفها فجأة وتضع يديها على خاصرتيها وتصيح "لماذا تضربون أخي "أوسة" يافاشست؟

بقينا ساعة أو أكثر على أعصابنا خوف أن نمنع من دخول سوريا ثم عاد عفيف وسمح للركاب بالنزول، ونقلنا في سيارة تابعة للمخابرات مع حقائبنا الى منزل والده ولكن عفيف لم ينزل معنا بل ذهب معهم لاستكمال التحقيق معه.. وكانت فرحة الأهل بنا كبيرة اذ أنهم ما كانوا يتوقعون تغير الأحوال، وعودتنا في وقت لم يتجاوز الأعوام الثلاثة الى سوريا..

وسارت حياتنا كالمعتاد، أنا مشغولة بالأولاد وعفيف يمضي وقته بالكتابة، وكان قد أصبح لدينا أطفال ثلاثة: سلام ويوسف ونضال الذي ولد بعد شهر من وصولنا الى بلغاريا. وسجلنا سلام في الابتدائي ويوسف في التحضيري ونضال في الحضانة. وكانوا يتحدثون العربية بلكنة أجنبية ولكن سرعان ما استقامت ألسنتهم وانسجموا في مدارسهم..

حديث مع عفيف البزري

الى مجلة المنابر في بيروت، آذار 1989

شارك في الحديث: معن بشور- منصور هنود- حسين عبد الله- رحاب مكحل

سجل الحديث وكتبه: سمير رباح

ليس في قبضة يده وهي تصافحك، ولا في روحه الحارة وهي تحاورك، ولا في جسمه المتماسك وهو يواجهك، ولا في حماسته المندفعة وهي تغمرك ما يشير الى أنك أمام رجل جاوز الخامسة والسبعين من عمره.
الفريق عفيف البزري، اسم برز في حياة سوريا عشية الوحدة. لقب بـــ "الجنرال الأحمر" بهدف دفع سوريا، جيشا وشعبا في الانحياز للشيوعية تبريرا لتطويقها من قبل دول حلف بغداد.
ورغم أنه كان قائدا للجيش السوري عشية الوحدة مع مصر بقيادة جمال عبد الناصر، الا أنه كان أول الخارجين من (الجيش الأول) الذي عين قائدا له لفترة بسيطة بعد خلاف مع القيادة ما لبث أن تطور واحتد وساده شيء من "الانفعال وقلة الصبر" كما عبر عن ذلك الفريق عفيف البزري وهو يؤكد اعجابه بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ويشير الى أنه كان مختلفا مع تيار في النظام المصري أوصل مصر الى حكم أنور السادات.
ولادته في صيدا، ونشأته وحياته في دمشق، وقتاله في حرب فلسطين عام 1948، ودوره في الوحدة المصرية–السورية عام 1958،كلها أمور تجعل منه قوميا في نظرته وتكوينه، وشديد الثقة بحيوية هذه الأمة وقدرتها...
ما عدا نزعته التقدمية الواضحة، وعداءه الشديد للامبريالية والصهيونية، وهو ما يشترك فيه مع العديد من الوحدويين والوطنيين العرب، من الصعب أن تلمس في آرائه ومواقفه أثرا لتلك التهمة التي لازمته طيلة سنوات بروزه على واجهة الأحداث في سوريا، وهي تهمة الجنرال الأحمر...
ومع ذلك فان أفضل من يحدثنا عن عفيف البزري هو عفيف البزري نفسه في هذا الحوار:

الفريق عفيف البزري، ولادتك اللبنانية ونشأتك السورية تطرحان مسألتين: فهل تعطينا لمحة عن حياتك ومسؤولياتك وفكرة عن العلاقات بين لبنان وسوريا؟

–السؤال يعود بنا الى الأصل في أن سوريا هي سوريا الطبيعية وليست سوريا المقسمة بين سوريا وفلسطين ولبنان والأردن كما هي الحال الآن. وسوريا هي واحدة من حدود مصر وكانت كذلك عبر التاريخ. وكان من الطبيعي أن ينشأ المرء في لبنان ويعيش في بلده سوريا أو فلسطين. أنا ولدت في صيدا في لبنان وقد عمل والدي في لبنان وفلسطين وسوريا أي في سوريا الطبيعية الحقيقية وليس كما أراد لها المستعمرون كما هي الحال الآن. وقد تنقلت مع والدي –بحكم عمله كقاض– بين مختلف المدن والمناطق السورية ثم عدنا أخيرا الى دمشق.
وقد تفتح إدراك جيلي على الثورة السورية الكبرى في العشرينات ونما روحنا وفكرنا على أخبار تلك الثورة المجيدة، ونما روحنا وفكرنا على أخبار تلك الثورة المجيدة، وكان أبطال هذه الثورة أمثال نظير النشواتي وفوزي القاوقجي وسعيد للعاص وسلطان الأطرش وغيرهم وغيرهم فرسان أحلامنا في طفولتنا وفي مراهقتنا. وفي الثلاثينات انتميت الى "عصبة العمل القومي" ثم بعد المعاهدة السورية–الفرنسية التي عقدت سنة 1936 كنت من أول الأفواج التي انتسبت الى الكلية العسكرية بعد أن أنهيت دراستي الثانوية في المدارس السورية.
وفي سنة 1941 التحقت بصفوف ثورة العراق التي كان يقودها رشيد عالي الكيلاني ضد الاستعمار الانكليزي، وقد كلفني ذلك حكما بالاعدام وملاحقات دامت حوالي السنة، الى أن توسط لي المرحوم اللواء فؤاد شهاب الذي كان يومها في قيادة جيوش الشرق، وعدت الى الجيش بعد صدور عفو عني. وفي 1945 أوقفت وجيء بي الى سجن D.T.L. في بيروت. فلم أطق السجن طويلا ففررت والتحقت بالحكومة الوطنية السورية بدمشق.

هل تروي لنا قصة فرارك من السجن؟

–بعد توقيفي بأيام رحت أسمع عن حوادث دمشق وهجوم الفرنسيين عليها وقصف أحياء دمشق وتدمير البرلمان بالمدافع والطيران، فلم أصبر على سجني وهاج بي الشوق لأن ألتحق بقومي فأقدمت على الفرار في ليلة الخامس من حزيران سنة 1945 في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل منتهزا فرصة تبديل الحرس حول السجن. وبعد ابتعادي بأمتار صادفت مواطنين لبنانيين ساعداني في التعرف على عائلة كريمة وهي من آل العيتاني التي كانت تقطن في حي الروشة في بيروت. وقد ساعدني شابان من أبناء هذه العائلة في الوصول الى دمشق والدفاع عني طوال هذه الرحلة.
بعدها عدت الى بيروت لاستلام قطعات الجيش التي كانت بإمرة القيادة الفرنسية مع وفد سوري. وفي عام 1948 التحقت بجيش الانقاذ كقائد لكتيبة المدفعية الوحيدة في

هذا الجيش، واشتركت في معارك نابلس وطولكرم وجنين والقدس وباب الواد، ثم عدت الى الحدود اللبنانية الفلسطينية وخضت مع الجيش اللبناني معركة المالكية الشهيرة، وتقدمنا الى الجليل ثم الى الناصرة حيث سيطرنا على عدد من المدن الفلسطينية العربية.
وفي نهاية المطاف تشرفت بقيادة عملية الوحدة السورية–المصرية العربية.

عشية ذكرى الوحدة كنتم في موقع بارز في سوريا، هل لكم أن تعطونا فكرة عن كيفية تطور الأحداث باتجاه الوحدة؟

–الحقيقة أن سوريا كانت دوما هي سوريا الطبيعية، أما الحدود الموجودة الآن فقد فرضها الاستعمار. ان الشعب السوري طالما غنى بلاد العرب أوطاني، وكانت له مدنية واحدة ولو كان لها عدة أوجه، امتدت من سوريا الى شمال العراق ولبنان وفلسطين والجزيرة العربية وكل بلاد العرب، لذلك عندما نقول أن الشعب السوري كان يشعر على الدوام أنه جزء من كل، فلا يكون هناك أي مجال للتساؤل عن سبب قيام الوحدة بين سوريا ومصر، فهذا شيء طبيعي وحتمي. وهذا ما ربينا عليه وتربى عليه شعبنا. واذا كانت الوحدة قد قامت فذلك يعود الى شعبنا وجماهيرنا، وهذا السبب يجب أن يثبت في أذهاننا ولا يجب أن ندير آذاننا للأشخاص الذين يرجعون أسباب عروبتنا ووحدتنا الى أشخاص وأفراد. فالوحدة من عمل الجماهير العربية التي جاهدت وضحت وبذلت دماءها وهناءها وسعادتها. انها من عمل أولئك الأبطال الذين استشهدوا في مصر والجزائر والمغرب وليبيا وغيرها من بلاد العرب، ولا يمكن أن نذكر قطرا عربيا واحدا لم يشهد ثورة ضد الاستعمار وفي سبيل تحقيق كيان يخلصنا من الضياع ويعيدنا الى موقعنا المميز بين الأمم الذي احتلته أمتنا على الدوام.

كان يقال أن سوريا كانت في ذلك الوقت تعاني من مشاكل داخلية صعبة فاعتبرت قيادتها أن الحل هو في الوحدة فلجأت الى مصر، أي أن سوريا آنذاك هربت من مشاكلها الى الوحدة. الى أي مدى يعتبر هذا الكلام دقيقا؟ وهل لك أن تحدثنا عن القيادة الوطنية التي لعبت دورا في تحقيق الوحدة؟

–ان قرار الوحدة كان تنفيذا لبند وقعناه في ميثاق الجبهة الوطنية العسكرية في الجيش عام 1955. والبند الأول من الميثاق يقول بأن وظيفة الجيش السوري الأساسية، الى جانب دفاعه عن الوطن، هي العمل على تحقيق الوحدة العربية، وكان هذا ردا على حركة الانقلابات السابقة. وقد سلم هذا الميثاق في احتفال رسمي الى الرئيس جمال عبد الناصر بدمشق عندما زارنا في قيادة الجيش لأنه من تلك الساعة فصاعدا أصبح مسؤولا عن تنفيذ ما جاء في الميثاق.

من هم الضباط الذين وقعوا على هذا الميثاق؟

-الضباط المشاركون في الجبهة الوطنية.

وهل يعني ذلك الضباط المنتمين للأحزاب المشاركة في هذه الجبهة؟

-في الواقع لم يكن هناك ضباط في الجيش منتمون الى أي حزب بشكل رسمي، وانما كان هناك اتجاهات في الجيش وتيارات فكرية. فكان هناك من يحبذ الفكر الماركسي، وكان هناك من يحبذ الفكر البعثي، وكان هناك أيضا من يلتزم بالفكر القومي. لم يكن هناك حزبيون داخل الجيش السوري وانما العدو الأميركي بالدرجة الأولى هو الذي كان يتهم هؤلاء الوطنيين بأنهم كانوا ينتمون الى هذه الجهة أو تلك، وأقول هذا الكلام بصفتي أحد مؤسسي الجيش السوري وأحد قادته سابقا. وأعطي مثلا عدنان المالكي، الذي لم يكن بعثيا وانما كان يحبذ البعث نظرا لكون شقيقه رياض أحد زعماء البعث في ذلك الوقت. وأنا نفسي كانوا يطلقون علي اسم "الجنرال الأحمر" ووكيل موسكو بدمشق وذلك بوصفي كنت اشتراكيا. لكن كان هناك ضباط أحرار في الجيش يعملون على تحرير بلدهم وكنت أحدهم خلال الاحتلال الفرنسي. أما عندما تحقق الاستقلال فقد كانت هناك تيارات واتجاهات فكرية في الجيش وحسب.

هل تضعنا في أجواء المرحلة التي سبقت الوحدة؟

يعود الى شعبنا وجيشنا السوري، وعندما تشكلت الجبهة الوطنية فيه في العام 1955 وضع ميثاق، البند الأول فيه يدعو الى تحقيق الوحدة جاء تنفيذا لهذا البند.
وهنالك مرحلتان في مسألة الوحدة: المرحلة الأولى هي مرحلة محاولات تحقيق الوحدة التي استمرت منذ سقوط نظام الشيشكلي وحتى قيام الوحدة. وكانت هذه المحاولات في البدء تنطلق من سوريا وحدها. وعندما وضعت مصر في برامجها بعد معركة السويس، تحقيق الوحدة وأن الشعب المصري هو جزء من الشعب العربي، أصبح السعي الى الوحدة من قبل الطرفين. وقامت هناك محاولات عديدة لايجاد صيغة تربط سوريا بمصر، الا أنه كانت هناك عوائق عديدة أهمها العوائق الدستورية، ومسألة توحيد الجيشين وقضايا الميزانيات والمصروفات له والقضايا الاقتصادية وغيرها من القضايا التي كانت تعيق تحقيق الوحدة. وخلال هذه المرحلة كان هناك من يقول بالإستعجال في اقامة الوحدة، وكان هناك من يدعو الى عدم الاستعجال ودراسة الموضوع بدقة، وكان هناك جماعات ضد الوحدة. وكانت هذه

جماعات صغيرة لا قيمة لها لأن شعب سوريا شعب وحدوي بكل فئاته من أقصى اليمين الى أقصى اليسار.
أما المرحلة الثانية في تحقيق الوحدة فكانت سريعة وحاسمة قادها عسكريو الجيش السوري، انطلاقا من بديهيات بأنه في تلك الظروف لم يكن هناك إطلاقا، لا من جانب المسؤولين ولا من جانب أمتنا العربية من يقول لا للوحدة، خاصة في ظل التهاب الشعور الوطني والقومي من أقصى الوطن العربي الى أقصاه. في هذه الظروف رأينا نحن عسكريو الجيش السوري أن لا يكون هناك أي معارضة لعملية الوحدة في حال دعينا اليها بشكل حاسم.
وفي حوالي منتصف كانون الثاني من عام 1958 دعوت قيادة الجبهة الوطنية العسكرية في الجيش للاجتماع وطلبت اليهم العمل لتحقيق الوحدة تنفيذا للبند الأول من ميثاقنا، وبعد مناقشة قصيرة خرجنا بقرار وهو أن يتألف من الجبهة وفدان، واحد يذهب الى مصر ليطلب الى رجال الثورة المصرية العمل على تحقيق الوحدة ، وكان هذا الوفد برئاستي، ووفد آخر يترأسه المرحوم اللواء أمين النفوري ليتقدم الى السلطات السورية بالطلب عينه. والقضية لم تكن قضية انقلاب بقدر ما كانت قضية وحدة عربية، وهذه النقطة بالذات يغفلها كثيرون للأسف.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا أنتم العسكريون عملتم على تحقيق الوحدة طالما هناك سلطة سياسية يفترض أن تتولى الأمر بنفسها؟

–من أجل عدم إفساح المجال أمام التدخلات الخارجية والداخلية وبغية الحفاظ على السرية قررنا أن يذهب الوفد العسكري الى القاهرة في الليلة نفسها وفي اليوم الثاني اجتمعنا الى الرئيس عبد الناصر وكان الى جانبه كامل هيئة الضباط الأحرار في مصر وذلك في منزله، وتقدمنا اليه بطلب تنفيذ الوحدة فورا ومما قلته في نهاية المناقشات: ياسيادة الرئيس، ان أمتنا انتظرت هذه الساعة أكثر من ألف عام وهي تتوجه اليكم الآن لتستجيبوا لهذا النداء. فكان جوابه بالآتي: هذا اليوم هو يوم ميلادي الأربعين، واحتفالا به سأستجيب لهذا الأمر.

قيل أن الرئيس عبد الناصر وضع شروطا من أجل تحقيق الوحدة من بينها إلغاء الأحزاب في سوريا؟

– كان الوفد السوري الى مباحثات الوحدة برئاسة الرئيس شكري القوتلي وعدد من أعضاء مجلس الوزراء والنواب السوريين وكنت أنا في عداد هذا الوفد. الاخوة المصريون كانوا متحفظين تجاه الأحزاب وذلك بناء على تجربتهم الداخلية، اذ أن الوضع في مصر ما كان ليتلاءم مع الأحزاب . واستجابة لنداء الوحدة وافق الجانب

السوري على إلغاء الأحزاب في سوريا لكي تنسجم الأوضاع بين البلدين. وكان هذا من الأخطاء التي ارتكبت خلال إقامة الوحدة، اذ أن الجبهة الوطنية في سوريا التي كانت تتألف من الأحزاب الأساسية في البلد كانت جبهة ثورة وكان لها الدور الأساسي في تحرير سوريا، وقد قلت للرئيس عبد الناصر أن الذي حمى سوريا وأفشل كل المؤامرات الأميركية، هو الذي يجب أن يحمي الوحدة بين مصر وسوريا. بعدما قامت حكومة الوحدة بمحاولات عديدة لتشكيل الأحزاب، كانت في كثير من الأوقات تضم من هم أعداء الوحدة وأعداء الحكم، وهم الذين قاموا بالانفصال. وكان هناك من يتزعم الاتحاد القومي وغيره من التشكيلات، التي عملت ضد الوحدة.

الجبهة الوطنية في سوريا كان لها الدور البارز ان على الصعيد الوطني و على الصعيد القومي، كيف تقيم هذه التجربة؟ ولاسيما تجربة المقاومة الشعبية التي قادتها الجبهة ردا على الحشود التركية باتجاه الحدود مع سوريا في ذلك الوقت؟

-عندما قلت للرئيس عبد الناصر بأن الجبهة التي حمت استقلال سوريا هي التي يجب أن تحمي دولة الوحدة إنما كان ذلك انطلاقا من تجربتي الشخصية في سوريا. الشعب كله كان معبأ نفسيا ضد الاستعمار ومؤامراته. قبل الوحدة مثلا وبعد إقامة الجبهة الوطنية تمكنا من تنظيم المقاومة الشعبية وأقمنا على الأرض السورية مئات الكتائب للدفاع عن استقلال الوطن فوزعنا 250 ألف قطعة سلاح على الشعب السوري بينها 7 آلاف قطعة دفاع ضد الدبابات R.B.J. وذلك أثناء الحشود التركية بمواجهة الأراضي السورية، وهذا في الوقت الذي لم يكن تعداد الجيش أكثر من 60 ألفا، وكان هذا الجيش بمثابة طليعة ثورية للمقاومة الشعبية.

مادمنا في هذا السياق، كان يقال عنك وبصفتك قائدا للجيش السوري أنك الرجل القوي الذي تتحكم بسوريا من وراء الستار، وذلك قبل الوحدة طبعا. وهناك من كان يصفك بالديكتاتور، هل هذه مجرد تهم أم هو الواقع؟

-أتاني مرة مراسل صحفي نمساوي وسألني السؤال عينه وقال لي "انك الرجل القوي الذي تتحكم بسوريا من وراء الستار وبشكل ديكتاتوري وقال أن ذلك حسب كلام رئيس وزراء تركيا حينذاك عدنان مندريس. فطلبت منه أن يقوم بجولة في سوريا ويعود الي. ووضعت تحت تصرفه كل الوسائل الضرورية لإنجاح مهمته. وبعد أن اطلع على أحوالنا عاد الي بعد أسبوعين وقال أنه مقتنع تماما بأن هذا الشعب انما يدافع عن حقه واستقلاله بملء ارادته، وليس هناك من من يجبره على حمل السلاح أو يضغط عليه بشكل ديكتاتوري. وبعد ذلك طلبت اليه أن ينقل رسالة الى مندريس كان مضمونها. سلح شعبك كما نسلح شعبنا لنرى كم يوما ستبقى في السلطة..

ووعدني الصحفي بإبلاغ الرسالة . وبعد عودته الى بلاده نشر في جريدته خبرا على مسافة صفحتين: "الجنرال البزري يقول لمندريس: سلح شعبك كما سلحنا شعبنا لنرى كم يوما تبقى في الحكم، وأستطيع القول هنا أن سوريا في ذلك الوقت تعرضت لحملة افتراءات وإشاعات باطلة للنيل من صمود أبنائها، وأقل ما يقال في هذه الاتهامات أنها فاجرة وكاذبة.

قيل الكثير عن أسباب فشل الوحدة بين مصر وسوريا، بما أنك ممن صنعوا هذه الوحدة، كيف تنظر الى هذه الأسباب؟

–بالدرجة الأولى يجب أن لا نركز كثيرا على الأخطاء التي أعثرت مسيرة الوحدة وان كانت هذه الأخطاء قد ساعدت المستعمرين في ضرب الوحدة. الذين ضربوا الوحدة هم المستعمرون الأميركيون بواسطة عملائهم في المنطقة المحيطين بسوريا والمندسين في نظام الوحدة.
وأولى الأخطاء التي ارتكبت بحق الوحدة هي الخلافات ما بين قوى اليسار وبين قيادات الوحدة. فمثلا لم يكن هناك أي سبب للهجوم على الشيوعيين بذلك الشكل الشرس، كما أنه كان على الشيوعيين أن يتحمسوا للوحدة بالشكل عينه الذي تحمست له الجماهير العربية، وكان ذلك ممكنا لو أن كل جهة راعت ظروف الجهة الأخرى.
الأمر الثاني الذي ساعد العدو على ضرب الوحدة هو عدم التوازن في الفكرين السوري والمصري، فسوريا مثلا تخلصت من الاستعمار ومن القواعد الأجنبية قبل الوحدة باثني عشر عاما أي في العام 1946. في ذلك الوقت تحقق الجلاء الكامل لقوات الاستعمار عن سوريا ولبنان فكانا أول بلدين في العالم الثالث تحققان جلاء الجيوش الأجنبية عن أراضيهما، واستقلالهما السياسي الكامل عن المستعمرين القدامى. أما مشاكل مصر مع الاستعمار فكانت لاتزال قائمة حتى قبيل تأميم قناة السويس، فكان هناك قاعدة بريطانية في السويس، وكان الشعب المصري يجاهد جهاده العظيم لإجلاء هؤلاء المستعمرين عن أراضيه فكانت أنظار الاخوة في مصر تتجه بشكل أساسي للكفاح ضد الاستعمار القديم بينما أنظارنا نحن في سوريا كانت تتجه بشكل أساسي للكفاح ضد الاستعمار الجديد الذي كانت تبنيه الولايات المتحدة الأميركية في العالم. وقيادة الوحدة بعد قيامها لم تعط الانتباه الكافي لهذا الأمر، وحصلت أولى الخلافات ما بين كثير من الوطنيين في سوريا وبين الاخوة المصريين حول هذا الموضوع بالذات. وبينما كنا نقول أن العدو الأخطر هو الولايات المتحدة الأميركية كان المصريون يقولون أنهم الانجليز، وكان هذا السبب هو الذي باعد بين ركني الوحدة وهو اليسار في دولتي الوحدة، وعلى الأقل في سوريا وما بين الاخوة في مصر.

اليسار الذي تتحدث عنه من كان يشمل؟

-اليسار يشمل الشيوعيين وغير الشيوعيين، ثم شمل البعث فيما بعد.

بعد هذه السنوات الطويلة كيف تقيمون الآن قيادة الرئيس جمال عبد الناصر؟

-مما لا ريب فيه أن الرئيس عبد الناصر هو أحد الأبطال في تاريخ أمتنا المجيدة وقد ناضل وكافح ضد الاستعمار بشكل مطلق واستشهد في ساحات الكفاح.
وان كنت قد عارضت حكمه في يوم من الأيام فما كانت معارضة لشخصه الذي كنت أعجب به دوما وإنما كنت أعارض التيار الذي انتهى به الأمر الى السيطرة على مصر بالسادات وأعوانه وأوقعوا بأمتنا تلك الكارثة في كامب ديفيد. هؤلاء كنت أعارضهم، أما الرئيس عبد الناصر فكان دوما بالنسبة لي قائدا كبيرا. وان كنت قد اختلفت واياه، فأنا أقول الآن بأنني كنت قليل الصبر وكان علي أن أبقى معه والى جانبه، أما موقفه بالنسبة الي فأتركه لتقديرات التاريخ.

بالعودة الى حرب فلسطين لعام 1948، هذه الحرب التي خضتم غمارها، هل لكم أن تبرزوا لنا أهم دروسها المستفادة؟

-ان حرب عام 1948كان العرب فيها بكل أسف مقيدين بعلاقاتهم مع المستعمرين. فهي حرب قادتها الأنظمة العربية، وكان خطأ الثورة العربية هو استسلامها لتلك الأنظمة. كانت حرب تحرير في قفص المستعمرين المتمثل بارتباطات أمتنا من خلال أنظمتنا بالنظام الاستعماري العالمي؛ ومع ذلك فعندما قاتل العربي كمجاهد في جيش الإنقاذ تمكن من حماية أرضه وايقاع الخسائر الفادحة بالصهاينة فاحتفظ بمعظم الأرض التي أوكل الدفاع عنها اليه كما حدث في حصار القدس اليهودية وباب الواد، ومعارك نابلس وجنين وطولكرم والمالكية وغيرها، الا أنه عند دخول الجيوش العربية رأينا أن هذه الجيوش رغم تضحيات أفرادها الكبيرة، لم تستطع أن تحارب بالمعنى الصحيح للحرب لأنها كانت مقيدة بنظم حكوماتها، ولعل ما شاع في تلك الأيام من شعارات كشعار "ماكو أوامر" يبين تماما بكل جلاء ما كان يجري في تلك الأيام.

وبالنسبة للجيش السوري في حرب 1948؟

–كان جيشنا السوري صغيرا وناشئا ومع ذلك فقد حقق انتصارات هامة ضد الصهاينة، وحافظ على شرفه العسكري كجيش عربي . وقد ضحى بعشر ضباطه في المعركة.

كنت ضابطا في الجيش السوري واشتركت بالقتال في فلسطين في صفوف جيش الإنقاذ، كيف تنظر الى هذا الجيش؟

الحرب في فلسطين مرت بمرحلتين، مرحلة جيش الإنقاذ التي بدأت في مطلع1948 وحتى 15 أيار من العام نفسه، ثم مرحلة الجيوش العربية النظامية التي ابتدأت بعد 15 أيار ولم تدم سوى شهرين تقريبا. ومن العبث أن يناقش الانسان الأخطاء العسكرية في هذه الحرب لأن هذه الحرب بحد ذاتها لم تكن جدية. كلها أغلاط من أولها الى آخرها.

هل يمكن أن تعطينا لمحة عن تركيبة جيش الإنقاذ؟

–تألف الجيش من لواء كان يقوده البطل المجاهد فوزي القاوقجي، ومن حاميات المدن مثل القدس وحيفا ويافا وصفد وغزة وغيرها، وقوات متفرقة أخرى تأتي في مقدمتها قوات الجهاد المقدس التي كانت في القدس واللد والرملة بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني؛ وهذه القوات المتفرقة لجيش الإنقاذ كانت بقيادة اللواء صفوت وهو قائد عراقي وتحت اشراف المشير طه الهاشمي الذي كان لقبه آنذاك المفتش العام لقوات الإنقاذ. أما ما كان يقال عن أن القاوقجي كان قائد جيش الإنقاذ فهذا خطأ شائع، وهو كان يقود لواء مقسما الى قسمين: قسم يتألف من كتيبة متطوعين بقيادة أديب الشيشكلي في الجليل وكتيبة واحدة في جنين وأخرى في طولكرم وكتيبة مدفعية وكنت أقودها أنا. وكانت قيادتها في مقر القاوقجي. وكان هناك بضع سرايا, كسرية المرحوم غسان جديد وسرية شركسية وسرية سعودية وسرية اسماعيلية، وهذه السرايا كانت تابعة لمقر القيادة كاحتياطي عام. والقيادة كان مقرها في جبع قرب نابلس ثم انتقلت الى عيترون في جنوب لبنان بعد دخول الجيوش العربية..
والكتائب كانت تضم عراقيين ومصريين وكان على رأسهم أحمد حسين زعيم مصر الفتاة، وكانت تضم سوريين ولبنانيين وغيرهم.
أما قيادة جيش الإنقاذ فكان مقرها دمشق وليس ميدان المعركة، وكانت مؤلفة من اللواء إسماعيل صفوت والمشير طه الهاشمي والأركان.
أما القيادة الميدانية فكانت في كل مدينة على حدة وتابعة للقيادة العامة في دمشق.

هل كان هناك متطوعون من الأحزاب الوطنية؟

-كان هناك في الشمال كتيبةعلى رأسها أكرم الحوراني وعبد الكريم زهور وخليل كلاس. وكان هناك كتيبة أفرادها من المتطوعين البعثيين وكان اسمها كتيبة البعث وكان في هذه الكتيبة صلاح البيطار وميشال عفلق. وفي المعركة الكبيرة التي خضناها ضد الصهاينة في اللطرون كان الى جانبي المرحوم صلاح البيطار وميشال عفلق وقد انفجرت قنبلة هاون بين قدميه وكانت نجاته أعجوبة من الأعاجيب.

من حرب 1948 الى انتفاضة 1988هل هي تطور في النضال الفلسطيني برأيك؟

-الأمة التي أنجبت ظاهرة أطفال الحجارة هي أمة لاتموت وهي ظاهرة عظيمة في أمتنا التي تشرفت بالتصدي للترسانة الأميركية، وهي أكبر وأشرس ترسانة عرفها الانسان، بأطفالها بالإضافة الى رجالها الذين يقاومون في جميع أنحاء الوطن العربي وعلى رأسهم الاخوة المجاهدون الفلسطينيون. كنا نتحدث، وباعتزاز، عن اليابانيين الذين يرمون بأنفسهم على الطائرات الأميركية فلماذا نكون أقل منهم، وهؤلاء الذين استشهدوا أليسوا من أمتنا؟

ماهي آفاق هذه الانتفاضة برأيك؟

-هي ظاهرة دائمة في أمتنا ولا يخشى عليها من الانطفاء لأنها ستبقى مشتعلة الى أن ننال حقوقنا حتى ولو ظهر أن جذوتها نزلت تحت الرماد. والانتفاضة هي تحصيل حاصل لما يختلج في صدور أمتنا.

ركزتم في حديثكم على الاستعمار الجديد. ماهي أبرز سمات مرحلة الاستعمار الجديد؟

-أبرز ملامح الاستعمار الجديد أنه يقوم على الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات، وعلى ارتباطات الربا العالمي والأحلاف السياسية والعسكرية للمستعمرين، وقيام نظام استعماري عالمي موحد بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، وهو ما يشبه "الهيدرا" وهي أفعى بسبعة رؤوس، الرأس الأساسي فيها هو الولايات المتحدة، أما بقية الرؤوس فهي بقية المستعمرين.
وهنا نلاحظ أن الحروب ما بين المستعمرين توقفت دون أن يتوقف التنافس في نهب الشعوب، عكس الاستعمار القديم الذي كان يتسم بامبراطوريتين متعاديتين كانتا السبب دوما في الحروب العالمية فيما بينهما وفيما بينهما وبين الآخرين.

أما الآن فقد ربطت الشركات الإحتكارية الأميركية المستعمرين بنظام استعماري عالمي جديد يشبه الشركة الاحتكارية فيها، المساهمون الكبار والمساهمون الصغار. وقد سمح المستعمرون لبقية أمم العالم بالدخول الى هذه الشركة ولكن بأسهم قليلة وضعيفة فيجلس مثلا مندوب ليبريا الى جانب مندوب أميركا في الجمعية العامة للأمم المتحدة كشريكين متساويين، ولكن الفيتو الأميركي يميز الأميركي في هذه الشركة العالمية.

ماهو موقع اسرائيل في النظام الاستعماري الجديد؟

-لأميركا في العالم 2500 قاعدة عسكرية منها 300 قاعدة على شكل مدن، مثلا قاعدة ديغوغارسيا في المحيط الهندي التي تقوم فيها القيادة العامة لقوات التدخل السريع في الشرق والشرق الأوسط التي كلفت الخزينة الأميركية 10 مليارات دولار، ولأميركا بالاضافة الى ذلك أيضا الدول القواعد التي منها الكيان الصهيوني، وهذا وأشباهه يشكل الهيكل الاستعماري الجديد الذي تقوده أميركا، وعلى هذا الهيكل يتحشى بقية أعضاء جسم الاستعمار الجديد من رجعيين وانتهازيين وجواسيس وعملاء وغيرهم.

سؤال أخير سيادة الفريق يتعلق بأمر خاص، وهو: هل هناك شعور خاص تجاه لبنان البلد الذي نشأتم فيه؟

-لبنان مسقط رأسي ولا يمكن أن أكون حياديا في الشهادة بلبنان. أهلي هنا في لبنان كما أهلي هناك في سوريا. أنا معجب بكل شيء أراه في لبنان حتى في زحمة السيارات التي تدل على حيوية هذا البلد، أحب هذا البلد بكل مافيه.
والشعب اللبناني حقيقة دفع ثمن الهجمة الاستعمارية باهظا وهو ثمن لم يدفعه أي قطر عربي، ولا شك أن جماهير أمتنا تدرك هذا، وأنا واثق بأنه أحد قواعد تحرير أمتنا العربية، ويبقى لبنان موئل التفاؤل والتطلع الى الآفاق الانسانية الكبرى. وهناك مزايا كثيرة أخرى يجب أن أقول عنها أنها عظيمة، وان بدا بعض الاشارات السلبية فهذا أمر طبيعي في المجتمعات الانسانية. ويبقى أن أسجل صبر هذا الشعب العظيم الذي هو الشعب اللبناني.

* * *

حديث مع عفيف البزري

سجله مالك المفتي في 22 حزيران عام 1991
في دمشق

ما هي الأسباب الرئيسية التي دفعت القيادات المدنية والعسكرية في سوريا الى التقارب مع مصر في منتصف الخمسينات ؟

–ان التقارب مع مصر كان لسببين: السبب الأول والأساسي أنهما قطران عربيان.. والسبب الآخر هو أن الاتجاه السياسي كان واحدا في ذلك الوقت ما بين الحكم في سوريا وما بين الحكم في مصر. اذا السبب الأول وهو أنهما قطران عربيان يجعل من الطبيعي تقاربهما. والسبب الثاني المباشر الذي قربهما هو أن الخط السياسي كان واحدا..

محاولات العراق لسحب سورية الى وحدة معها – هل دفعت سوريا نحو مصر ؟

–لا، يعني هذا طبعا أننا نستطيع القول بأن الحكم في العراق في ذلك الوقت كان يشكل عائقا لسياسة الوحدة السورية – المصرية. لم يكن عائقا يعرقل بالطبع مشاريع الوحدة.. وأنصاره هنا...

–حزب الشعب ؟

–نعم حزب الشعب.. لكن أن تستنتج أن العراق هو الذي جعل سوريا تندفع نحو مصر فهذا غير صحيح! السياسة السورية في ذلك الوقت، ولنحدد تماما، كانت سياسة الجبهة الوطنية التي كانت قائمة في سوريا وهي التي جعلتها تتقارب مع مصر، لأن الخطين السياسيين متشابهين. وهنا أريد أن أنبهك لأمر: هناك أقوال وحكايات كثيرة كتبت عن الوحدة مابين سوريا ومصر أو التقارب السوري المصري. بعض الناس يقولون أن الجهة الفلانية هي التي كانت دافعة للتقارب، ويأتي أناس آخرون ويقولون ما قلته حضرتك، بأن العراق لكثرة ما تآمرت على سوريا رمت سوريا نفسها في أحضان مصر كي تحمي نفسها منها. وأناس يقولون أنه بسبب الاختلافات السياسية في سوريا أو غيرها.. كل هذا هراء. الواقع هو أن الشعب السوري، ككل شعب عربي، بل ككل شعب في أي مكان في العالم، لما تكون سياسته متقاربة مع شعب آخر فانهما يلتقيان. ولا يجب أن نعزو الأمر الى سبب آخر هو ثانوي بالنسبة لهذا السبب.

ان الوحدة ما بين سوريا ومصر قيل عنها هنا أشياء كثيرة، وكتب عنها كتاب ذو غرض، لأن الكتاب برأيي دائما ينبع من جهة لها غرض: خذ مثلا "باتريك سيل"

الذي كتب كثيرا عن هذه المواضيع.. باتريك سيل جعل الحكاية مثل قصة عنتر! الفلان الفلاني والعلان العلاني والى آخره، وأن الناس هنا كانت تضرب بعضها بعضا.. والمصريون أيضا، جماعة عبد الناصر، كي يعزوا لأنفسهم الأمر كتبوا أشياء غير صحيحة..

– حتى السوريين مثل خالد العظم!

– خالد العظم أيضا كانت له مصلحة، الوحدة ضيعت على خالد العظم رئاسة الجمهورية..

– وخالد بكداش؟

– خالد بكداش كان ضد الوحدة لأن سياسة الاتحاد السوفياتي لم تكن مع الوحدة..

ماهي حقيقة المخاوف الأميركية من الشيوعية، وما هي حقيقة علاقاتكم مع خالد العظم وخالد بكداش؟

علاقتي بهم هي الجبهة الوطنية فقط.. الذي كان فيها البرجوازية والتجار السوريون، وكان فيها البعث، وكان فيها الشيوعيون، وكان فيها الحياديون.. الذي جعلني أدخل الجبهة هي المؤامرات التي كانت تحاك على سورية.. طبعا أنا بالنسبة لي لم تكن هذه الأحداث جديدة، فطول عمري أعمل ضد الأخطار التي يتعرض لها وطني. الفرنسيون في عام 45 أوقفوني وسجنوني.. كنت ضابطا في الـ Troupes Specials، التي كانت تابعة للقيادة الفرنسية في ذلك الوقت.. وفي عام 41 التحقت بثورة رشيد عالي الكيلاني، وحكمت بالاعدام من قبل السلطات الفرنسية وبعد ذلك عدت في ظروف مناسبة الى الجيش. وفي عام 45 أوقفت وسجنت في بيروت ثم فررت من السجن والتحقت بالحكومة الوطنية التي تشكلت في دمشق.

ان عملي السياسي لم يكن جديدا علي ما دام في خدمة الوطن. كنت ألتقي مع كل ما يجمع الناس للدفاع عن الوطن.. أما مسألة أنني كنت أتظاهر بالوحدة وأنني كنت منتميا للحزب الشيوعي، وأن عندي آراء اشتراكية كما اتهمت حينذاك فأنا لم أنتم في حياتي الى أي حزب، الا عندما كنت طالبا في الثانوي فانني انتميت لعصبة العمل القومي، أما الحزب الشيوعي فما انتميت اليه. كان بينهم أصدقاء لي وأنا انسان تقدمي أكره الظلم وأناضل في سبيل الحرية، حرية الانسان. وأقف ضد كل تعسف وعدوان عليه أو انتقاص لذاته. أنا مناضل بهذا المعنى، ضد المستعمرين، عدو للمستعمرين أو أن المستعمرين أعدائي. الاستعمار القديم والجديد أيضا.. فهذا اذا كان يسمى عند البعض شيوعية فهذا بحث ثان.. بالعكس أنا ربيت في بيت محافظ، متعصب جدا للاسلام..

أيمكن أن يكون الأمريكيون خافوا لما أزيح الضباط الميالون لأميركا؟

لا.. لا، نحن لم نزح أحدا. كل من سرحناهم لا يزيدون عن 6-7 ضباط. وهؤلاء لن يؤثروا على الجيش. ونحن لم نسرحهم لأنهم موالون لأميركا، لا. بل لأنهم تآمروا. لقد سرحوا بجرم التآمر وليس لأن عواطفهم كانت مع أميركا، ان "ستون" اتصل بهم وتآمر معهم فسرحناهم. وهم كلهم بضعة ضباط وأكثر من ذلك لا يوجد شيء آخر..

كيف تفسرون تحول صبري العسلي من الاتجاه العراقي الى الاتجاه المصري ؟

قصة العراق وعلاقتنا به قصة طويلة. والخلاف مع العراق له أسبابه. ليس فقط صبري العسلي كان مع العراق، البعث كان أيضا مع العراق..

-أيام الحناوي ؟

-أيام الحناوي وبعد الحناوي وقبل الحناوي. دائما.. يعني. .

بقي هنا الجواب على السؤالين : نحن ابتعدنا عن العراق الذي يتحكم فيه الانجليز. حلف بغداد ماهو؟ حلف انجليزي. اقتربنا من مصر لأن مصر كانت تناضل ضد الانجليز. عكس العراق.. فنحن بطبيعة الحال مع مصر ولسنا مع العراق سياسيا.. يعني حدث هنا تغير في الرأي. البعث الذي كان انجليزيا قبل، وانقلب لم يعد انجليزيا، الذي كان عراقيا انقلب وصار ضد العراق، مع مصر التي هي ضد الانجليز..

صبري العسلي خجل بالطبع. قال هذا لا يجوز.. لحق التيار وصار مع مصر. أناس اندفعوا عاطفيا وأناس اندفعوا عاطفيا ومصلحيا أيضا. صبري العسلي أيضا كان من مصلحته ذلك..

مالذي جعلنا نختلف مع مصر بعد ذلك ؟ أنا مثلا لماذا اختلفت مع عبد الناصر؟ لماذا حدث الانفصال؟ لأنه ما كان هناك synchronisation مابين الوضع السياسي في سوريا والوضع السياسي في مصر. مصر كانت لا تزال في مواجهة الاستعمار القديم بينما نحن انتهينا من القديم، لأننا أخرجناه من بلادنا وبدأ صراعنا مع الجديد الذي تتزعمه أميركا. فما عاد عقلنا ينطبق على عقل مصر. وفي غياب هذه المطابقة حدث الاختلاف في الرأي..

-علاقات مصر مع أميركا كانت جيدة في ذلك الوقت؟.

-طبعا.. في الوقت نفسه كانت أميركا تساعده.. لماذا كانت أميركا تساعده ؟ لأن الأمر يهمها. فكل حركة ضد الاستعمار القديم كان يساعدها حتى تبني هي النظام الجديد. النظام الذي بنته أميركا لا يتحمل امبراطوريات قديمة. ان هذه الامبراطوريات هي عبارة عن اقطاعيات..

لكن مشكلتنا نحن أننا أصبحنا نطلب مساعدة أميركا التي هي وراء اسرائيل. يعني أن المشكلة بيننا وبين أميركا هي اسرائيل.. أما بالنسبة لمصر فان صراعها وقتذاك كان مع الانجليز.
وكما ترى، ليس العراق هو الذي دفعنا، لا، ان الوضع العالمي هو الذي جعلنا ننتهج هذه السياسة..

كيف ولماذا تحولت فكرة الاتحاد مع مصر في سوريا الى فكرة الوحدة الاندماجية ؟

–ها.. طرحت أسئلة كثيرة في هذا الشأن. وما اقترحته أنا في مفاوضات الوحدة هو الاسلوب الحديث في العالم : أي الاتحادات. خذ مثلا الدول العظمى، ألمانيا عبارة عن اتحاد. الولايات المتحدة الأميركية ولايات، الاتحاد السوفياتي أيضا... ضربت لهم الأمثلة وقلت لهم أن من الأفضل أن نسير على هذا الطريق – طريق الاتحاد وليس الوحدة. لكن طبيعة عبد الناصر لا تتحمل هذا الشكل. وكانت الوحدة... كان من الممكن أن لا تحدث أبدا لو لم نراع رغبة عبد الناصر وجماعته. على كل حال، لو فرضنا الاتحاد فان دكتاتورية عبد الناصر سرعان ما كانت تقلبه الى وحدة.

هل كان أحد في سوريا، عسكري أو مدني يفضل الوحدة على الاتحاد؟

–لا، الأمر حدث على طبيعته أثناء المباحثات. على كل، في أول الأمر صار اتحاد. ان ما تبلور كان اتحادا. اذ صار حكم في سوريا، سموه الاقليم الشمالي، وحكم في مصر. ونائب رئيس جمهورية في سوريا يحكم في سوريا، ونائب رئيس جمهورية في مصر. والرئيس عبدالناصر رئيس على القطرين الشمالي والجنوبي..
لكن من الناحية العملية، مباحث عبد الناصر وجماعته يريدون لمصر أن تكون لها اليد العليا. لقد تغلغلوا وجعلوا من الحكم المحلي عبارة عن حكم كراكوز.. أما من ناحية دستورية فما كان الذي جرى اندماجا. وحتى يوم الانفصال، كان شبه اتحاد من ناحية قانونية.

أول خطوة كانت ذهاب الوفد العسكري بقيادتكم الى مصر. لماذا ؟

–طبعا.. لو لم نذهب نحن لما حدثت الوحدة، لا تستمع لأحد..
–والسياسيون، ألم يكن عندهم علم؟
– لا، لا، لأنهم لم يكونوا يريدون الوحدة.. ما حدا بده وحدة (ضحك) حتى عبد الناصر لم يكن يريدها!..
السيدة بزري– لولا مبادرة عفيف، لما صارت الوحدة!

-حتى حزب البعث لم يكن يريدها؟

الفريق بزري-حزب البعث كان يريد وحدة حتى يحكم سوريا باسم عبد الناصر.. يريد من عبد الناصر أن يسلمهم سوريا ويقول "احكموا أنتم في سوريا وأنا في مصر. ولكن عبد الناصر لم يكن يريد مثل هذا الوضع..

... أنا وجدت أن الفرصة ملائمة لقيام الوحدة التي كانت أمل كل عربي مخلص، قلت نعرض الوحدة على عبد الناصر. بما أنهم جميعا يقولون بالوحدة، فلتكن وحدة، وحدة لا يجرؤ أحد على معارضتها في سوريا.. الجماهير تقوم قيامتها عليه.. الحقيقة الجماهير سكرت بهذا الحدث الذي حقق آمالها.. من كان يجرؤ في تلك الساعة أن يقول لا أريد وحدة.. الجماهير تخلع رقبته.

-لكن بما أنكم كنتم تعرفون أن البعث يريد الوحدة ليستغلها لماذا..؟

السيدة بزري – الوحدة ملزمة بينما الاتحاد...

الفريق بزري – قبل الوحدة، جرت محاولات تهريج، تمثيل. مثلا جاء السادات مرة الى هنا، فدعاه مجلس النواب عندنا ليترأس جلسة. ووضعوا علمين أمامه: سوري ومصري. وذهب أكرم الحوراني أيضا الى مصر وترأس المجلس المصري هناك. وهكذا! وهذه في رأيهم وحدة.. مظاهر غير حقيقية لايهام الجماهير..

ومرة جاؤوا يريدون أن يعملوا قيادة واحدة للجيشين.. أنا كنت طبعا في الأركان، كنت رئيس الشعبة الأولى.. مستحيل.. لا يمكن أن تتشكل قيادة دون وجود وحدة دستورية. أي أن الجيشين لا يمكن أن يتوحدا ان لم يكن هناك وحدة دستورية.

نحن في الجيش كنا نرى هذا التهريج ونعلم انهم يفعلونه حتى يهدئوا الناس.. وذات يوم وجدت أن الأمور ناضجة لتحقيق هذا الحلم.. كان أحد أيام كانون الثاني عام 58 – جمعت مجلس الضباط وكلي ثقة أن ما سأعرضه عليهم سيقبلونه. انني حين أصبحت رئيسا للأركان شكلت مجلس الضباط وكانت المادة الأولى في دستوره هي أن نسعى الى الوحدة.. كان هذا في شهر آب من عام 57 عندما قمت بهذه الخطوة.

جمعت مجلس الضباط وأنا واثق بأن ما سأطرحه عليهم سيقررونه. ذكرتهم بالمادة التي وضعناها "نحن نسعى الى الوحدة" وقلت لهم أن المحاولات، المظاهرات الوحدوية الفارغة، هي عبارة عن تهريج. فالى متى علينا أن ننتظر؟ واقترحت أن نذهب في وفد الى مصر ونعرض الوحدة على عبد الناصر من الجيش. وفي الوقت نفسه نكتب رسائل الى رئيس جمهورية سوريا ورئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب: رئيس الجمهورية شكري القوتلي، ورئيس الوزراء صبري العسلي، ورئيس مجلس النواب أكرم الحوراني، ولوزير الدفاع خالد العظم، باعتباره من الجيش.. وقلت لهم "نحن من هذه الغرفة نذهب رأسا الى المطار.. لأحد من الوفد يذهب الى بيته أو يتصل بعائلته ويخبر بالأمر.. " وكنت قد هيأت للسفر كل شيء.. الطائرة التي ستقلنا..

تركت في دمشق الرسائل التي كتبتها ليأخذها معاوني أمين النفوري وعبد الحميد السراج الى الحكومة، وأفهمتهم أن هذا ليس انقلابا، ونحن لا نقوم بانقلاب حتى نحكم، بل نقوم بخطوة وحدوية..

كلكم، أنتم والنفوري والسراج كان عندكم نفس المشاعر الوحدوية؟

-طبعا، طبعا، طبعا. المسألة ليست مسألة مشاعر، لاتهم مشاعر الأفراد.. ما يهم هو مشاعر الجماهير.. نحن نستجيب الى طموح الجماهير.. ماهي مصلحتنا نحن أن تكون كل دولة عربية لوحدها؟ هاهي أوروبا تصنع وحدة هي وأميركا..

أما كان أحد من السياسيين عنده خبر ؟

-بالنسبة لهذه الحركة الوحدوية لم يكن من أحد عنده خبر، أبدا. وأنا فكرت في الأمر ظهرا ونفذته مساء..

ألم تكن هذه الحركة موجهة ضد أي حزب سياسي؟

-أبدا، أبدا، لا ضد أية فئة ولا ضد أي حزب..

(عند هذه النقطة قام الفريق بزري وأحضر صورة تضم أعضاء الوفد مع عبد الناصر أخذت بعد دقائق من موافقة عبد الناصر على قبول الوحدة. والصورة تضم: عفيف البزري، أكرم ديري، جمال صوفي، جادو عز الدين، مصطفى حمدون، حسين حدة، طعمة العوض الله، بشير صادق، عبد الغني قنوت، أحمد حنيدي، ياسين فرجاني، وكانوا أربعة عشر ضابطا. وقد بقي السراج والنفوري في دمشق لتسليم الرسائل. وسألته اذا كان أحد من هؤلاء له علاقات مع الأحزاب.)

-لا، لم نتركهم يتصلون مع الأحزاب.. لا يخلو الأمر من صداقات وقرابات قبل هذا ولكن مثلا بخصوص هذه الحركة بالذات.. أبدا.. أم يوسف، زوجتي، ما كان عندها خبر. وأنا نفسي لم أذهب الى البيت. ولا تغديت يومها في بيتي.. بقيت في القيادة، استدعيت هذا المجلس، وقررنا الذهاب في الليلة نفسها الى القاهرة والقيام بهذه العملية.
أما ماقيل بأنه كانت هناك انقسامات في سورية، وأنه لولا الوحدة لكان الضباط قاموا على بعضهم وقتلوا بعضهم فهذا هراء.. كلام غير صحيح أبدا. الصحيح هو أن الخلافات موجودة في كل مكان وفي كل دولة ولكن هذا لايعني احتمال حدوث أي

شيء.. كانت هناك آراء متباينة قبل الوحدة أما ما دفع اليها فهو الجماهير.. انها تربيتنا نحن.. نحن دائما وحدويون..

لكن خالد بكداش وأكرم حوراني مثلا، ما كانوا وحدويين لكنهم دعوا الى الوحدة فيما بعد.

-ارضاء للجماهير.. وأنا حسبت حسابي على هذا الأساس: أن أحدا لن يجرؤ على اعتراض الوحدة.. قيادة الجيش لم تجبر أحدا بالسلاح. لم ننزل الدبابات الى الشوارع.. بعثنا رسائل فقط. قلنا لهم نحن ذاهبون لعرض الوحدة على مصر، نرجوكم أو ندعوكم الى المبادرة لتحقيق الوحدة ما بيننا وبين القطر الشقيق مصر. ماذا كان بوسعهم أن يقولوا "أنتم قمتم بعصيان؟" ليحاكمونا ! لو فعلوا فان الناس تقوم عليهم.

لكن، موقف الشيوعيين ؟

-الشيوعيون لهم موقف آخر، معقد قليلا.. أولا، لهم موقف الاتحاد السوفياتي. الاتحاد السوفياتي لا يريد اغضاب أميركا، لا يريد مشاكل في المنطقة..

لما رجعتم الى دمشق، ماذا كان رد فعل السياسيين؟

-خرجوا لاستقبالنا بالأهلا والسهلا.. على كل حال، شوف ياأستاذي. الانسان عليه أن يأخذ الوضع الداخلي في ذلك الوقت.. الوضع الداخلي كله وحدوي.. الشيوعيون لا يشكلون الا قليلا بالنسبة لمجموع الناس. السياسة الأميركية كانت تبالغ في قوة الشيوعيين، حتى تضرب الحركات الوطنية التي هي ضدها. كل ما هو ضد السياسة الأميركية في المنطقة هو شيوعية عندهم. هذا غير صحيح. الشيوعيون كان لهم نائب واحد في البرلمان هو خالد بكداش. والذين انتخبوه ليسوا شيوعيين بل هم تجار الشام.. حتى خالد بكداش ينطر خالد العظم، وخالد العظم ينطر خالد بكداش. أي كل منهما يكون رقيبا على الآخر.. خالد بكداش نال 40000 صوت.. لو أراد الاعتماد على أصوات الشيوعيين ماكان ينال 5000 صوت ولا 4000، ولا 3000 , ولا 2000 صوت.. لايوجد ألفا شيوعي في دمشق..

في الجيش ألم يكن هناك اتجاهات ضد الوحدة أبدا؟

–الجيش بشكل عام من الشعب.. الضباط الممتهنون، كلهم وطنيون، يريدون قوة بلدهم.. مع مصر نصبح قوة. أما أن يكون هناك شذوذ: اثنان ثلاثة فهذا موجود أينما كان.

أمين النفوري كان يحسب على الحزب الشيوعي مرات، على خالد العظم...

أمين النفوري الآن مات.. رحمه الله كان انسانا وطنيا، ملتزما بالخط الوطني الى أن توفي. اذا فهو كان صادقا مع الشيوعيين والبرجوازيين و... غيرهم.. كانت له علاقات مواطن مع كل الأطراف الذين هم من وطنه.. علاقات صداقة، لكن علاقات الصداقة لا تعني أن لديه آراء مماثلة من الناحية السياسية.. الذين كانت له معهم علاقات كان رأيه مثل رأيهم في النواحي الوطنية العامة..

لكن خالد العظم كان وطنيا ولكنه ضد الوحدة.

... خالد العظم خاف على رئاسة الجمهورية أن تضيع منه.. وليس على قضية أن تدخل...
بعد الاستقلال.. خالد العظم حتى يضمن الرئاسة قال لنفسه "لن أضمنها الا بدخول الجبهة الوطنية التي كانت قائمة بين البعث والشيوعيين وغيرهم" مسألة التسلح من روسيا، مثلا، كان هو أول مؤيد لها، بينما البرجوازية كانت خائفة أن تتحول البلاد الى شيوعية.. ثم أصبح الأمر مفروغا منه أن سوريا لن تصبح شيوعية عندما تأخذ دبابات من روسيا!..
اذن الجبهة الوطنية رشحت خالد العظم. السعودية ومصر كانتا تريدان شكري القوتلي.. وهذا لايعني أن شكري القوتلي كان مع مصر أو السعودية.. ان شكري القوتلي انسان عربي، قومي عربي، مناضل ضد المستعمرين القدماء، برجوازي يريد حصته كبرجوازية وطنية..
فكان من تأثير مصر والسعودية أن تغلب شكري القوتلي على خالد العظم وصار رئيس جمهورية، خالد العظم قال "غدا تنتهي ولايته والولاية الثانية لي أنا".. لما صارت وحدة أمله بالمنصب ضاع نهائيا.. ماذا سيكون؟ اقصى منصب هو أن يصبح وزيرا.. ومعنى هذا أن موقفه كان ضد الوحدة..
شكري القوتلي لم يكن ضد الوحدة.. بالعكس.. أنا أفسر الأمر أنه كان مبسوطا بها لأنها تحرم خالد العظم من رئاسة الجمهورية، ولأن ولايته هو كانت ستنتهي في السنة التي صارت فيها الوحدة.. في 58 كان يمكن أن يخسر عاما من ولايته أو بضعة شهور، لكنه ضمنا كان مسرورا لأن خالد العظم لن يصبح رئيس جمهورية..

ثم ان من كتب مذكرات خالد العظم ليس هو خالد العظم. فمن الناحية الثقافية لم يكن لخالد العظم المقدرة أن يكتب هذا الكتاب الطويل العريض. لقد كتب له بالطبع تحت اشرافه. والكاتب جعله شخصية. ليست هذه مذكرات خالد العظم. وهي كتابة انسان مغرض أيضا.. خالد العظم ثقافته ابتدائية من الأول اعدادي (صف تحضيري) دخل الحقوق. كانت كلية يدخلون فيها دون شهادة ثانوية.. فالتحق بالجامعة السورية وبقي ثلاثة أعوام حصل فيها على الشهادة. وثقافته محدودة لأنه لايطالع "على قدها"

-وشكري القوتلي؟

-شكري القوتلي لا.. شكري القوتلي مثقف. وذكي جدا وشخصيته قوية.. مع العلم أنني أنا في الجبهة الوطنية كنت من المتحمسين لمجيء خالد العظم. لماذا؟ لأنه كان ينفذ الخط الذي تحبذه الجبهة الوطنية في ذلك الوقت.. الخط القومي ضد التدخل الأميركي في شؤون سوريا. أنا كنت متحمسا كثيرا له، وضد شكري القوتلي..
من ناحية شخصية هناك فارق كبير بين الاثنين، فرق كبير جدا.. شكري القوتلي مثقف أكثر منه، شخصيته أقوى، وله تاريخ نضالي وطني، أبو الاستقلال.. مع العلم أنني كنت معارضا لاعادته الى الرئاسة عام 55..

ماذا عن عبد الناصر ؟

-والله مما لا شك فيه ولا ريب أن عبد الناصر مناضل قوي ضد الاستعمار القديم. وكما قلت لك من قبل أن أميركا كانت تساعده في ذلك الوقت، ليس له فقط بل لجميع الحركات التي كانت تناضل ضد الاستعمار القديم حتى تكنسه من المنطقة فيتاح لها أن تبني ما بنته بعد الحرب. كانت أميركا تساعد عبد الناصر على هذا الأساس. أولا كانت لها صلات بضباط الثورة وبعبد الناصر بالذات قبل الثورة. لماذا؟ لأن أميركا تعتقد أن الحكم القديم، حكم فاروق ميال للتقاليد.. وهي علاقات عائلته بالمستعمرين القدماء.. وليست له شعبية كبيرة في مصر. فعندما انسان يكون ثائرا ضد الانجليز مثل عبد الناصر، فان أميركا تدعمه بكل قوتها. حتى أثناء تأميم القناة، أميركا ساعدته.. وهذا الشيء بالذات هو مصدر الخلاف ما بين الحركة الوطنية السورية ونظام عبد الناصر في مصر. عبد الناصر لم يكن يفهم بأي شكل من الأشكال أن أميركا هي دولة مستعمرة. لكن هذا لايعني أن عبد الناصر هو عميل لأميركا.. لا ليس هناك عمالة في هذه الأيام بالمفهوم القديم. كانت سياسة بلده في ذلك الوقت تقتضي اخراج الانجليز، والأميركان يريدون مساعدته فما كان بوسعه معاداة الأميركان.. ثم لما خرج الانجليز من مصر كان يريد مساندتهم في أمر أو في آخر، فكان يحاول ارضاءهم بشكل عام.

... عبد الناصر لأسباب داخلية أيضا يستند على قوى اجتماعية في بلده ضد الشيوعية. عنده الأزهر مثلا.. هو بأساسه كان مدة مع الاخوان. تربيته تجعله يكره الشيوعيين. فداخليا وخارجيا كان ضد الشيوعيين..
لكن قبل أن يخرج عبد الناصر من المسرح السياسي كان مناضلا قويا أو مناضلا من المناضلين الكبار ضد الاستعمار القديم. وله الفخر أن يكون أبا الاستقلال وجلاء الأجنبي عن مصر. هذا مالا يستطيع انسان ان ينكره عليه أو يحرمه منه. لكن عبد الناصر يبقى كمخطط لايريد ازعاج أميركا اذا لم تزعجه.
نحن في سوريا مخططنا كجبهة وطنية كان ضد اسرائيل- قضية فلسطين هي أهم شيء ولا يجوز أن ننساها أبدا حتى نفهم الأمور. أميركا هي التي مكنت اسرائيل. يوم التصويت بشأن اسرائيل أقامت الدنيا وأقعدتها حتى تصبح اسرائيل دولة اسرائيل..

ماذا كانت أولوياتكم عندما سافرتم الى مصر مع الوفد العسكري؟

-الأولوية، الشيء المباشر، أن تتشكل قوة سد تجاه اسرائيل.. أن يتوحد الجيشان السوري والمصري. واذا كانا بقيادة واحدة أفضل، وفي دولة واحدة أفضل.. هذا هو المهم. نحن نشعر ليلا ونهارا أن الخطر يأتينا من اسرائيل وليس من روسيا.
... هذا هو السبب الذي جعلنا نسعى للوحدة، لاكما يذكر حسنين هيكل أو باتريك سيل.. الذي كان يضغط علينا حينذاك هو نفسه الذي لا يزال يضغط علينا.. اسرائيل وأطماعها التوسعية..

[
الفريق بزري عند هذه النقطة يتحدث عن تجربته المحبطة وخيبة أمله في حرب فلسطين كقائد لكتيبة المدفعية في عام 48]

السيدة بزري -ان الذي خاض المعركة في فلسطين يشعر تماما بضرورة الوحدة في العالم العربي.
الفريق بزري- ولذلك، القضية الفلسطينية هي الأساس. وعواطف الجماهير هنا معها.. من كان يجرؤ أن يقول لا، لانريد وحدة؟ لا أحد. لكن السياسيين، عبد الناصر ماذا كان يريد؟ يريد أن يخرج الانكليز، والانجليز خرجوا. لم يعد هناك حاجة لديه ليحتمل عبء فلسطين.. يريد سوريا أن تكون في جيبه. الحكومة هنا: خالد العظم يريد رئاسة الجمهورية، البعث يريدون وحدة يستلمون هم شؤونها، عبد الناصر لايريد أن يسلمهم سوريا.. يريد الأمور في يده لا بيد البعث. فلذلك كانوا متجمدين، "لانريد وحدة مع هذا الدكتاتور، كذا، الى آخره". لكنهم لا يجرؤون صراحة على هذا القول. فحساباتنا حينذاك، حساباتي أنا، أنني ان قمت أنا بالوحدة لن يجرؤ أحد على

معارضتها. يبهدل نفسه وسيأتون كلهم للوحدة. جمعت الضباط يومها ومنعتهم أن يرجعوا الى بيوتهم حتى لوداع أهلهم. قلت لهم من هنا الى المطار. نصعد الطائرة الى مصر، نعرض موضوع الوحدة على عبد الناصر بشكل جدي هذه المرة.

... نحن نفذنا ما يريده الرأي العام. فليس هذا انقلابا. هناك فرق بين أن نقوم بانقلاب ويوظف بعضنا بعضا وبين ما فعلناه. دعونا الناس أن يتوحدوا ليقفوا تجاه العدو ولا أحد يقدر أن يحاسبنا على هذا الشيء أبدا..

أيضا عبد الناصر لم يستطع الرفض.

عبد الناصر لم يستطع الرفض، يتبهدل، يتبهدل..

في البداية قاوم فكرة الوحدة؟

–لا. استمع الى الخطاب الذي ألقيته. بعدما انتهيت قلت له "أنت في وضع الآن مسؤول تاريخيا. قبلت أو رفضت، كلمتك كلمة تاريخية".. عبد الناصر ذكي ملعون وحوله كل جماعة الثورة موجودون. "أنا أقول هذا والتاريخ يشهد ويسجل والباقي عليك".. قال " الليلة عيد ميلادي وبهذه المناسبة أعلن قبولي للوحدة ". هذا ما جرى ..

متى ولماذا تركتم الجيش ؟

–أنا لم أترك الجيش ولم أستقل.. هم غدروا بي.. بدأوا حينذاك، مباشرة بعد الوحدة، ينسقون.. جاء جماعة عبد الناصر، يعني المباحث الى هنا "نريد أن ننقل ضباطا سوريين الى مصر ونحضر مصريين نضعهم هنا ونسرح.." أول ما طلبوه مني هو تسريح 102 ضابط فلسطيني هم من خيرة الضباط وطنية. "لماذا نسرحهم؟ ما السبب؟" قلت لعامر "البارحة حدثت الوحدة. الناس يقولون لماذا هؤلاء سرحوا؟ هل هم أعداء الوحدة؟ خونة؟ والمساكين كانوا من أشد أنصار عبد الناصر حماسا بين الضباط.

السيدة بزري– وهؤلاء أيضا كانوا من أنصار عفيف باعتباره كان يدافع عن قضيتهم.

الفريق بزري– والله ما كنت أبالي بمن هم معي. ما كنت أكتل فئة من الجيش حولي.. وأنا حين تقاتلت معهم في الليلة التي حدثت فيها المناقشة الحادة ما بيني وبين المشير عامر، لم تكن من أجل الفلسطينيين وحدهم بل من أجل البعثيين أيضا.. كنت غاضبا بسبب سياسة اضعاف الجيش السوري.. يريد أن ينقل البعثيين الى مصر، وكان ذلك في شهر نيسان 1958 قلت له "لماذا تتقلهم؟ من جملتهم عبد الغني قنوت.. هل مصر منفى؟.. لا يجوز هذا الكلام.. كانت المناقشة بيننا حادة.. قلت لعامر "تجربتكم في السودان الم تردعكم حتى الآن؟ هل أخذتم سوريا في احتلال عسكري أم أننا نحن الذين سعينا الى الوحدة؟ ان الوحدة بهذا السلوك لن تدوم".

تكرر مثل هذا الموقف لأسباب مختلفة.. كنت في القاهرة في المناقشة الأخيرة مع عبد الناصر وفي اليوم التالي قرأت مثل غيري في الصحف نبأ استقالة فلان، بدون أن أقدم استقالتي.

نقاط ذكرها الفريق بعد أن أوقفت التسجيل.

1 – عندما كانوا يتباحثون في الجبهة الوطنية عن عدد المقاعد النيابية التي ستساندها الجبهة في الانتخابات القادمة طالب خليل كلاس البعثي ب 51% من المقاعد فعارضه البزري قائلا "وماذا عن باقي أعضاء الجبهة ؟ وأصر كلاس على موقفه قائلا هذا هو وضع البعث بينما لم ينجح في المرة السابقة الا بـــ 17 مقعدا. فأجابه البزري بأن هذا غير معقول، ورفض بالتالي مطلب البعث.

وأضاف البزري بأن البعث لو نال ما يريد، لما طلب الوحدة مع مصر. وكما حدث، فان أكرم الحوراني أصبح على صلة وثيقة بالسفير المصري محمود رياض. واعتادا السهر سويا حيث كانا يشربان ويستمعان الى غناء فيروز في الحفلات الخاصة..

2 – وفي سؤال آخر عن الأحزاب في داخل الجيش، أكد البزري بقوله أنه كانت هناك ميول عند ضباط الجيش بالطبع: اشتراكية، برجوازية الخ.. ولكن ليس صحيحا أنه كانت هناك خلايا حزبية في داخل الجيش. الصداقات والروابط العائلية كانت موجودة ولكن ليس هناك انتماءات حزبية رسمية. وكثيرا ما كان الضباط يغيرون ولاءهم أو يتنافرون مع مختلف الأصدقاء المدنيين. مثلا الحوراني والشيشكلي.

3 – عند هذه النقطة قالت السيدة بزري أن الحوراني كان حقا خائفا من شعبية عفيف داخل الجيش. وقال لوالد عفيف يوما حين التقى به "ان ابنك لم يترك لنا دورا". وأكد الفريق بزري بنفسه بأنه كان له في قلب الجيش موالون أقوياء وكثيرا ما كانوا يحثونه على استلام السلطة بانقلاب يصبح معه دكتاتورا عسكريا ولكنه كان يرفض دائما حتى لا تحرم سوريا من الديموقراطية!..

* * *